مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 77 – يناير 2026

Volume 23 – issue 77 – January 2026

Pages 307 - 339 الصفحات 307 - 339

الأمة الإسلامية وصراع الهوية

The Islamic Nation and the Identity Conflict

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-7712

أ.د. خالد مصطفى مرعب

Prof. Dr. Khaled Mustafa Merheb

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الجنان

Professor of Islamic History and Civilization

at Al-Jinan University

Email: Dr_merheb@hotmail.com

تاريخ الاستلام – 2025/08/30 Date of Receipt -

تاريخ القبول – 2025/09/21 Date of Acceptance -

الأستاذ الدكتور خالد مصطفى مرعب
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الجنان

Prof. Dr Khaled Mustafa Merheb
Professor of Islamic History and Civilization at Al-Jinan University
Dr_merheb@hotmail.com

الأمة الإسلامية وصراع الهوية

The Islamic Nation and the Identity Conflict

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-7712

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٨/٣٠ / تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٩/٢١

ملخص

اتخـذ الإنســان هوية له منــذ وجوده على هــذه البسيطة عــن قصد أو عن غيــر قصد، فهو انتمــى إلى مــا يعبر عن مصالحه وحاجاته واتخذ من ذلك هوية تظللــه وتحميه وتشكل شخصيته ومعتقداته.

ولمــا أسســ مجتمعه ودولته ومن ثم أمته، أصبح منتميًا علــى نطاق أوسع إلى قيمة حضارية عبــرت عن مستوى التطور الذي بلغــه الإنسان مع الزمن. وبذلك انقسمت البشرية إلى أمم ضمت شعوبًا وأعراقًا متعددة.

ونشأت مصالح وروابط وعلاقات وحدت الأمم حول عناوين مشتركة تعبر عن انتماء تاريخي متراكــم مشكلاً موروثات حضارية متنوعة ضمت تراثًــا خاصًا ومميزًا. لكن مفهوم الأمة تبلور مع انتشار الأديان السماوية والنظريات الفلسفية. وباتت الكلمة تحتمل عمقًا عقائديًا راسخًا. وعرفت البشريــة أممًا عديدة أشهرها الأمة الإسلامية التــي انبثقت عن الدين الإسلامي وضمت قوميات متعددة انصهرت في بوتقه واحدة عرفت بأمة الإسلام. وكان منطلق ذلك الدعوة القرآنية: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾. وأصبح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يرتبطون برباط الانتماء للأمة الإسلامية التي كانت موحدة سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، وتنقاد لقيادة واحدة عرفت بالخلافة. وبالرغم من تشديد الإسلام على وحدة الأمة ومحاربة العنصرية، فـإن العالــم الإسلامي تعرض للتفتيت والشرذمة حتى انهارت الخلافــة، وانقسمت الأمة الواحدة

إلــى دول متفرقــة. لكن مفهوم الأمــة مازال يعتمل في وجــدان الشعوب الإسلاميــة، وعاشت هذه الشعــوب حالة انفصام وضياع مع رواج النظريات القومية والوطنية والمذهبية... إلخ ونشأ صراع مرير بين مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة الموحدة، وبين مفاهيم القومية والوطنية والمذهبية... المشرذمة والتقسيمية.

مــن هنا كان من الضروري معالجة موضوع الأمة والهوية بدءًا من التعريفات والمصطلحات والمفاهيــم المتداولــة، ومن ثم معرفة أصول بعضــ الأمم وأسس نشوئهــا وتشكلها وعلاقة الأمم بالحضارات وتطورها. إلى أن ظهرت الأمة الإسلامية ومفهوم (الملة). ومرتكزات ذلك في الدين الإسلامــي ومــا أسفر عنه هذا الانتماء من حضارة إسلامية عالميــة متفوقة في العصر الوسيط. وامتــداد ذلــك في التاريــخ الحديث والمعاصر الــذي أدى إلى نوع من صراع الهويــة عند الشعوب الإسلامية.

كلمات مفتاحية:

الأمة - الهوية - القومية - الدين - الحضارة - الصراع.

Abstract

Man has, intentionally or unintentionally, acquired an identity since his existence on this planet. He has identified with what expresses his interests and needs, adopting from this an identity that shelters, protects, and shapes his personality and beliefs.

When he established his society, state, and then his nation, he became more broadly affiliated with a civilizational value that reflected the level of development humanity had reached over time. Thus, humanity was divided into nations comprising diverse peoples and ethnicities.

Interests, bonds, and relationships emerged that united nations around common themes that express a historical affiliation that accumulated, forming diverse civilizational legacies encompassing a unique and distinctive heritage. However, the concept of the nation crystallized with the spread of divine religions and philosophical theories. The word came to bear a deep-rooted ideological depth. Humanity has known many nations, the most famous of which is the Islamic nation, which emerged from the Islamic faith and encompassed multiple nationalities that fused into a single melting pot known as the Nation of Islam. The logic behind this was the Quranic call: «And this, your nation, is one nation, and I am your Lord, so fear Me.» Muslims in the East and West became bound by a bond of belonging to the Islamic nation, which was politically, economically, and militarily unified and led by a single leadership known as the Caliphate. Despite Islam's emphasis on

the unity of the nation and the fight against racism, the Islamic world was subjected to fragmentation and disintegration until the Caliphate collapsed and the single nation split into separate states. However, the concept of the nation still simmered in the hearts of Islamic peoples, and these peoples lived in a state of schism and loss with the prevalence of nationalist, patriotic, and sectarian theories, etc. A bitter conflict arose between the concept of a single, unified Islamic nation and the fragmented and divisive concepts of sectarian nationalism. Hence, it was necessary to address the issue of the nation and identity, starting with the common usages, terminology, and concepts, and then to understand the origins of some nations, the foundations of their emergence and formation, and the relationship of nations to civilizations and their development. This was until the Islamic nation and the concept of (millah) emerged. The foundations of this are in the Islamic religion and the resulting Islamic familial civilization that was superior in the Middle Ages. This has extended into modern and contemporary history, leading to a kind of identity conflict among Islamic peoples.

Keywords:

Nation - Identity - Nationalism - Religion - Civilization - conflict

مقدمة

فـي عصر العولمة والتطـورات التكنولوجية المذهلة والـذكاء الاصطناعي تقف أمم الأرض علـى قواعـد ثابتة من مستلزمات القـوة والمنعة والتميز الحضاري في جو مـن التنافس على تبوء الصـدارة والمكانـة العليا فـي مختلف الشـؤون التي تهم البشريـة. وعملت الأمـم على تحصين وجودهـا والحفاظ علـى إرثها الحضاري وعمقها التاريخي وتشكيـل هويتها الذاتية المنسجمة مع معتقداتهـا ومبادئها. وتلاقت شعوب متنوعة تحت مظلة الهوية الجامعة الملائمة لكينونتها: الأمة الأميركية، والأمة الأوروبية، والأمة الروسية، والأمة الصينية والأمة الهندية ... إلخ فأصبحت هذه الأمم مهيمنة على العالم بأسره. فيما بقيت بعض الشعوب تائهة في مهب تحديد هويتها الحقيقية وتعيشـ صراعًا ذاتيًـا شتت قواها وأضعف حضورها، ومن هذه الشعوب تلك التي تقطن على مدى واسـع من آسيا وإفريقيا وبعض من أوروبا، والمعروفة سابقًا بالعالم الإسلامي، وهي أمة الإسلام التـي نشأت أساساً تحت شعـار ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[1]. هذه الأمة التي كانت تحمل هوية واضحة مستمرة عبر القرون تنسجم مع منطلقاتها الفكرية والعقدية.

ومع تراجع قوة حضورها في التاريخ، تركت الأمة الإسلامية مكانها المتفوق وتراجعت قوتها

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

حتى تشرذمت في كيانات ودول مصطنعة قومية ومذهبية .... إلخ، لكن الشعوب الإسلامية ما زالت تحمل حنيناً لهويتها الحضارية الجامعة، وانتمائها إلى أمة واحدة ملزمة بها بفعل إيمانها ودينها. لذلك فإن العالم الإسلامي يعيش صراعاً حول هويته وشخصيته الحضارية، ويعاني اضطراباً في مفهوم الأمة وهويتها الأصلية، ومنذ انهيار الخلافة الإسلامية، رمز وحدتها السياسية المعنوي، توالت الخسائر والصعوبات على مفهوم الأمة الإسلامية، وساهمت عوامل داخلية وخارجية في تكريس هذا الواقع المرير، مما جعل المسلمين يتراجعون عن مكانتهم الحضارية ويحتلون المرتبة الثالثة في العالم (العالم الثالث). وما زالت الأمة الإسلامية تعيش صراعاً حول هويتها وانتماء شعوبها إليها، مما يعيق تقدمها ومجاراتها للحداثة والعولمة، واستعادة مكانتها كأمة لها مكانتها بين أمم العالم، ولذلك فإذا لم تحسم هوية الشعوب الإسلامية وانتمائها للأمة الواحدة الموحدة، فستظل تعيش صراعاً حول الهوية، فقضية الهوية قضية محورية، إذ أن كل جماعة أو أمة تعوزها الهوية المتميزة ليمكنها من المعيشة والمحافظة على وجودها، ولأن للهوية علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية.

أهمية الموضوع:

في عصر العولمة سعت أمم الأرض لتأكيد حضورها وشخصيتها وتميزها، وبرزت أمم قوية وتحالفت فيما بينها لتؤازر بعضها بعضاً، وفي التاريخ الحديث ظهرت أمم على أسس قومية بعد حربين عالميتين مدمرتين، فانصهرت الشعوب في أطر أوسع على أسس عقائدية لتصبح أمماً ذات حضارة متميزة. فالأمة الأميركية تعد أقوى وأهم الأمم في العالم، ومن ثم الأمة الروسية، تليها الأمة الأوروبية، ثم الأمة الصينية، ثم الأمة الهندية ... إلخ. لذلك كان من الضروري البحث بأسباب تواري الأمة الإسلامية عن الحضور العالمي، فيما كانت سابقاً عبر التاريخ الوسيط، من أهم أمم العالم وأقواها؟ فلماذا تراجعت هذه الأمة، وهل هناك في الأصل أمة إسلامية؟ وكان من المهم النظر في أسباب بروز الهويات المحلية القومية والمذهبية في الأمة الإسلامية مما أدى إلى تراجعها وضمورها. وبروز صراع داخلي في شعوب الأمة الإسلامية. بحثاً عن الهوية الحقيقية لهذه الشعوب. حيث كانت الانتماءات والولاءات تتفاعل وتتشابك وتتردد بين الولاء العام للأمة الواحدة الموحدة، وبين شعارات القومية والوطنية والمذهبية والجهوية ... إلخ. هذا الأمر ترك شروخاً في العالم الإسلامي وشعوبه، وأدى إلى تخلف الحضارة الإسلامية وتراجعها بعد فقدان هويتها الأساسية التي كانت في أصل نهضتها. هذا الصراع على الهوية يكتسب أهمية مصيرية بالنسبة لشعوب انتمت عبر التاريخ لأمة فقدت هويتها. فكان لا بد من دراسة الموضوع من وجهة نظر علمية بحثية تجيب عن الكثير من الأسئلة، وتظهر خطورته في صنع المستقبل ليس للأمة الإسلامية، بل للعالم أجمع. وكما يساهم في إثراء المحتوى العلمي حول قضايا مصيرية كالهوية الإسلامية وصراع الحضارات.

أسباب اختيار الموضوع:

تتزايد مشاعر الإحباط عند الشعوب الإسلامية في سعيها لتلمس هويتها الحضارية في ظل تنافس الأمم على تصدر الحضور العالمي، كما تبدو استهدافات القوى العالمية للحضارة الإسلامية من خلال طروحات العولمة المهيمنة في ازدياد مطرد في ظل الصراع الحضاري المستمر خلال العصر الحديث والمعاصر. على أن التساؤلات ما زالت متكررة عن أسباب غياب الهوية الحضارية الجامعة للأمة الإسلامية في مواجهة تعاظم قوة الأمم الأخرى. كما أن إرهاصات الصراع الدولي تدفع بالأمم إلى التمسك بقيمها الحضارية وأسباب قوتها ومنعتها لتتمكن من الحفاظ على حضورها وتحصن تراثها الحضاري. لذلك نرى الأمة المسيحية وإن توزعت جغرافياً فهي تحت شعار الانتماء الموحد للمسيحية، ولو ظهرت أحياناً تباينات وخلافات. وكذلك الأمة اليهودية فهي صنعت لنفسها وطناً وعقيدة صهيونية بالاستناد إلى الإرشاد اليهودي التاريخي. والصينيون والهنود وغيرهم من الأمم التي توحدت حول تراثها الحضاري التاريخي. إلا الأمة الإسلامية التي ما زالت مشتتة ضعيفة ممزقة الأوصال في دول وكيانات وطنية معادية ومتنافرة بالإجمال. لذلك كان لا بد من دراسة أسباب ذلك ومراجعة مفهوم الأمة، وبالتالي البحث في سبل إعادة الحياة لهذا المفهوم باعتباره خشبة الخلاص للشعوب الإسلامية. كما إعادة الاعتبار لهذا المفهوم من وجهة نظر دراسية علمية تنفض الغبار عن الإرث الحضاري للأمة الإسلامية في سبيل إعادة العالم الإسلام الموحد إلى مكانته المرموقة بين أمم الأرض.

الأهداف

يهدف هذا البحث إلى معالجة قضية خطيرة تتعلق بالأمة الإسلامية التي تضم الآن عددًا كبيرًا من الدول وما يزيد عن ملياري ونصف إنسان، بالنظر إلى ما يتركه موضوع الصراع على الهوية من تداعيات على مستوى الفرد والمجتمع والأمة بالإجمال. في وقت تتنافس أمم العالم وتتزاحم لتتبوء المكان اللائق في المقدمة، وفي حين ترزح الأمة الإسلامية تحت وطأة التشرذم والتخلف والتبعية. لذلك فإن دراسة أسباب حالة الضياع التي تلف المسلمين وتداعيات ذلك وآثاره الكارثية على الأمة الإسلامية، من خلال البحث والتدقيق في عوامل القوة التي تحتاجها الأمة الإسلامية لاستعادة دورها ومكانتها بين أمم العالم المعاصر. وسنظهر المعالجة العلمية لهذا الموضوع خطورة انسلاخ الأمة عن هويتها الحضارية عندما تشتت ولاءاتها وتضييع بوصلتها الأساسية بافتعال ولاءات وانتماءات وهويات تتعارض مع قيمها ومبادئها وأصولها لذلك فإن الهدف الأهم لهذه الدراسة مناقشة تعدد وتفاوت النظرة العلمية لموضوع الهوية كانتماء وولاء يحمل الإنسان على الالتزام بما يؤمن به ويعتقده ويؤثر على حياته ومستقبله. وبالتالي ما يتولد عن ذلك من صراع وتنازع واضطراب وتداعيات ذلك وآثاره على العالم وشعوبه.

الإشكالية:

تبـدو الإشكاليـة الرئيسية في هذا الموضوع تتمحور حول السـؤال الأهم، ما هي هوية الأمة الإسلامية ؟؟ هذا السؤال الذي يستتبع جملة من التساؤلات المتشابكة كتفاصيل في موضوع الأمة ومنها:

١. ما هو مفهوم الأمة وتطبيقاتها على أرض الواقع؟

٢. هل المسلمون يشكلون أمة؟

٣. ما هي معايير نشوء الأمة الإسلامية؟

٤. ما مدى ارتباط الأمة بالهوية الإنسانية؟

٥. هل هناك صراع حول هوية الأمة الإسلامية ؟

٦. ما هي أسباب الصراع حول هوية الأمة الإسلامية ؟

٧. هل تتمكن الأمة الإسلامية من العودة إلى هويتها الأساسية؟

الفرضيات:

- الإسلام هو الهوية الحقيقية للأمة الإسلامية.
- الأمم صنعت نفسها بصهر شعوبها في رباط حضاري متماسك.
- شـكل المسلمـون أمـة واحدة موحدة في بداية ظهور الإسـلام واستمرت هذه الأمة في مختلف العصور التاريخية.
- الصراع حول هوية الأمة الإسلامية رافق تاريخها وما زال محتدمًا.
- لـن تكـون للشعوب الإسلامية قيامة إلا بحسم صـراع الهوية والعودة إلى الأمة الإسلامية الموحدة.
- هناك مؤشرات إيجابية حول إرهاصات العودة للهوية الحضارية للأمة الإسلامية.

المناهج المتبعة:

يحتـاج هـذا الموضوع إلى الغوص في أسبـاب الصراع ومعوقـات العودة الحميـدة للهوية الإسلاميـة الحضاريـة الجامعة والموحدة، وهذا ما يتطلب الاعتمـاد على المنهج التحليلي بداية، ثم من الضروري استلهام المنهج الاستقرائي لمراجعة أسس البناء الحضاري للأمة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

- جاسـم بن محمد بن مهلهل الياسين ، الهوية الإسلامية ، الناشر مؤسسة السماحة للنشر والتوزيع - الكويت ٢٠١٢.

يعالـج الكتاب موضـوع الهوية في الواقـع المعاصر، ويدرس أصل الكلمـة باعتبارها جماع

العقيـدة واللسـان والتراث الثقافي. ويشير إلـى أن هناك حرب هويات وقد سعـى أعداء الإسلام لطمس معالم الهوية الإسلامية وذلك في وقت مبكر من ظهور الإسلام. وذكر العديد من الحركات الشعوبيـة التي تطـورت لتصبح قومية في تاريخنا المعاصر ثم وطنية. ويفند الكتاب أسباب ظهور الحركات الفكرية المعادية لروح الإسلام وأثرها على الأمة عبر تاريخها. وكذلك الخطر الخارجي المتمثل بالحملات العسكرية. والغزو عبر التاريخ. ويذكر أن الأساليب الهدامة تطورت لتتخذ شكل غزو فكري وثقافي. وبروز حركة التغريب وانتشارها في العالم الإسلامي.

- خليـل نـوري مسيهر العاني، الهويـة الإسلامية في زمـن العولمة الثقافيـة، الناشر مركز البحوث والدراسات الإسلامية - العر اق.

يعالـج الكتاب مفهـوم الهوية الإسلامية في مواجهـة العولمة وتداعياتهـا المختلفة وخاصة الثقافيـة منهـا. فأعتبر أن العولمة فتحـت قضايا الهوية. وأن الهويـة والثقافة هي المستهدفة من العولمـة حيث أن الهويات الحضاريـة والخصوصيات الثقافية للشعـوب والأمم هي التي تجعل كل واحـدة منهـا شعباً منفـرداً بقيم ومبـادئ يؤمن بها ويعتز. وقـد قسم الكتاب إلـى خمسة فصول مـع المقدمـة والخاتمـة والنتائج. وقد عالـج الكتاب قضية الهويـة عامة والهويـة الإسلامية على الخصوصيـة، ثم درس الكتـاب العولمة تاريخها وحقيقتها وبروزها. ثم جـاءت القضية الرئيسية فـي الكتاب حول طبيعة العلاقة بين الهويـة والعولمة الثقافية، ومن ثم دور الخطاب الإسلامي في ترسيخ مفهوم الهوية، وأخيراً نظرة حول أهمية الهوية الإسلامية للأمة والبشرية جمعاء.

- مجموعة مؤلفين، الهوية وتحديات العصر، دار الروافد الثقافية، ٢٠١٧.

يتحـدث الكتاب عن تعريف الهوية للجماعة باعتبارها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعـرف نفسـه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمـي إليها. والكتاب هو جزء من مشروع عربـي توزع علـى أكثر من كتاب، وهذا الكتـاب ضم مجموعة من المفكريـن والأكاديميين العرب الذيـن يحاولون رؤيـة تتسم بالتعددية وبطابع نقدي، والكتاب يتضمـن محاور ثلاثة، هي: معالجة الهويـة ونقـاط اشتباكها مع الآخـر، ثم موضوع الهوية فـي العراق كنموذج، ثـم موضوع الترجمة وتأثيره على موضوع الهوية ... إلخ.

علـى أن هـذا البحث سيقدم معالجة موضوعيـة لقضية «الصراع» بيـن الهويات الحضارية وتأثيـر ذلـك على الأمـة الإسلامية، كما سيركـز على بحث أسبـاب قيام هذا الصـراع في الأمة الإسلامية داخليًا، وبالتالي انعكاسات ذلك على صراع الحضارات، وتبيان ضرورة التشبث بالهوية الحقيقية للأمـة الإسلامية ومحاربة الانتماءات الجانبية القوميـة والمذهبية وغير ذلك. وقضية الصراع على الهوية هي مشكلة هذا البحث الأساسية وهي التي لم تشملها الدراسات السابقة.

الأمة الإسلامية وصراع الهوية

ملخص.

المقدمة.

تمهيد.

المبحث الأول: الأمة والهوية والصراع.

المطلب الأول: المعنى في اللغة والمصطلح والمتداول.

المطلب الثاني: الاجتماع البشري والهوية.

المطلب الثالث: الأمة والدين.

المطلب الرابع: الصراع.

المبحث الثاني: أصول الأمم.

المطلب الأول: الأمة الأولى .

المطلب الثاني: أمم العالم.

المطلب الثالث: بين الأمة والحضارة.

المبحث الثالث: الأمة الإسلامية (الملَّة).

المطلب الأول: أصول الأمة الإسلامية (الهوية).

المطلب الثاني: حضارة الأمة الإسلامية.

المطلب الثالث: الأمة الإسلامية الوسط.

الخاتمة.

المراجع.

تمهيد

منـذ فجـر التاريخ شرع الإنسـان في بناء مجتمعاته التـي شكلت نواة أمتـه الأولى، ومن ثم تكاثـرت الشعوب وشكلت أممهـا التي حفظت هويتها الحضارية وشخصيتهـا المتميزة، ومن هذه الأمـم من تفوق وساد وأسس الدول القوية والإمبراطوريات العظيمة. وعند ظهور الأمة الإسلامية كانـت أمم الأرض موزعة على قوتين عالميتين متنافستيـن، هي الأمة الفارسية والأمة الرومانية، فيما بقية الأمم كانت في حال الانغلاق والعزلة.

فالأمة الرومانية اتخذت من المسيحية مظلة لها، فيما الأمة الفارسية كانت على وثنية. أما أمـة الإسلام فقد قامت على هدى الشرع الإسلامي الـذي تضمن أسس بناء الحضارة الإسلامية المنبثقـة من قيم العـدل والخير والمساواة والأخوة العالمية، لذلـك سرعان ما انضوى تحت لواء هذه الأمة، العديد من الشعوب والأعراق والاتنيات وانصهرت في بوتقة الأخوة الإسلامية. وبذلك صـارت الهوية الإسلامية الجامعة هـي المعبرة عن شخصية هذه الشعـوب المندمجة والموحدة فيما عرف فيما بعد بالعالم الإسلامي، الممتد عبر القارات والجغرافيا المعروفة بالعالم القديم. فعندما انطلقت دعوة الإسلام، شكل المسلمون الأوائل على قلتهم الأمة الإسلامية الأولى بتنوعها وشمولها، إذ ضمت العربي والفارسي والرومي والحبشي ... إلخ. هذا الانصهار الحضاري المتنوع، ميـز الأمـة الإسلامية منذ نشوئها وزادت تطوراً مع اتساع رقعتهـا الجغرافية، وتميزت عن غيرها مـن الأمم المعاصرة بتفوقها الحضاري خلال العصـر الوسيط، وترسخت الهوية الإسلامية لهذه الأمة وشعوبها بالرغم من اختلافها العرقي والقومي، وكان حامل هذه الهوية يمكنه أن ينتقل عبر العالم الإسلامي دون عوائق أو موانع. فيسافر المسافر من سمرقند في أقصى الشرق إلى قرطبة فـي أقصـى الغرب، بـل ويمكن أن يستوطن فـي أي بقعة من بقاع الأرض الإسلاميـة بكل سهولة . فتـرى المغربي يستوطن بخاري وترى النيسابوري يسكن فـي غرناطة ... إلخ كما كانت هذه الأمة تنتظم فـي نظام سياسي واقتصادي واجتماعي متناسق. فيمـا كان منصب الخليفة يشكل رمزية الوحـدة للأمة الإسلامية عبر الزمن. وبالرغم من بعض الصعوبات والإشكالات التي رافقت عمل الخليفـة، فـإن هذا المنصب كان رمزاً لوحـدة الأمة عمل المسلمون علـى تكريسه في كل حقبات التاريـخ، وفـي العصر الحديث تمكن العثمانيون من الحفاظ على قـوة حضور الخلافة الإسلامية باعتبارهـم قادة العالم الإسلامي، بالرغم من تشرذم البلاد الإسلامية وتنافرها وتباعدها. ومع انهيـار الدولـة العثمانية ضاعت الخلافـة الإسلامية ودخل المسلمون عبـر العالم في صراعٍ حول هويتهـم الحضارية، وأصولهـم العقدية وانتماءاتهم الثقافية. وما زال هـذا الصراع متأججاً دون معرفة مالآته وما سيتمخض عنه، في ظل العولمة وتنافس الأمم على المكاسب والمنعة والسؤدد.

المبحث الأول: الأمة والهوية

المطلب الأول: المعنى في اللغة والمصطلح والمتداول.

في معجم المعاني الجامع، الأمة بالتحريك والتشديد، وجمعها أمم، وهي جماعة من الناس تجمعهم روابط تاريخية مشتركة، قد يكون فيها ما هو لغوي أو ديني أو اقتصادي، ولهم أهداف مشتركة في العقيدة أو السياسة أو الاقتصاد، وأمة فئة كبيرة من الناس تربطهم تقاليد وثقافة مشتركة، وبصفة عامة لغة واحدة، وتستعمل الكلمة أحياناً مرادفة لكلمة الدولة. ولكن ربما لا يخلو ذلك من الغموض إذ قد تحتوي الدولة عدة أمم، فمثلاً تحتوي بريطانيا العظمى كدولة على الأمة الإنجليزية والإسكتلندية والغاليه وأجزاء من الأمم الإيرلندية .... إلخ.

أما الأمة بفتح الهمزة فتعني المرأة المملوكة وجمعها إماء، وهي الجارية المملوكة. والأمه هي مرض الجدري .. وأمه أي عهد إليه وأمه الشيء نسبه، كما تعني الخصب والغيث وأيضاً الشجة في الرأس إذا بلغت أم الدماغ[1]. واللفظة من حيث اللغة غنية بالمعاني ومتباينة أيضاً حسب استخدامها وتشكيلها. والمقصود في هذا البحث من لفظ الأمة، المعنى الاجتماعي السياسي، الذي يعبر عن أحد أنواع الاجتماع الذي يربط بين المجموع برابط معنوي ومصلحي ووجداني حتى يصبح هوية خاصة ومميزة.

أما الهوية فهي من (هوى)، وهو العشق، ويكون في الخير والشر، وتأتي بمعنى سقط، يقال هوى فلان، أي سقط من علو إلى الأسفل. ويقال للبئر العميق (الهوية = من هوى)[2]. وهذا ما يأخذ المفهوم من الجانب اللغوي إلى الأمر البعيد الغور الذي يتشوق الإنسان إليه ويعشقه، الأمر الذي يجعل الشخص يتوجه نحوه بشكل اضطراري. أما على الصعيد الاصطلاحي، فالهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[3]. فهي الشيء المعروف في ذاته دون اللجوء إلى عناصر خارجية لتعريفه، ويستعمل أيضاً للدلالة على الجوهر والماهية. وتقول الموسوعة الفلسفية العربية، هي كلمة مولده اشتقها المترجمون القدامى من الـ «هو»، لينقلوا بواسطتها إلى العربية كما يقول الفارابي المعنى الذي تؤديه كلمة «هست» بالفارسية، وكلمة «إستين» باليونانية أي فصل الكينونة في اللغات الهندو- أوروبية الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا عنها ووضعوا كلمة الموجود «مكان» «الهو» والوجود مكان الهوية. ومع ذلك فقد فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح فلسفي يستدل به على كون الشيء هو نفسه[4]. إذن فالهوية هي الخصائص والسمات والمعتقدات والقيم المميزة التي تعرف الشخص

---

(١) المعجم الوسيط، حرف أ.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، بيروت- لبنان، دار صادر للنشر والتوزيع، مادة الهوى، ١٩٨٢.

(٣) علي بن محمد، الجرجاني، التعريفات (د . ت) دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢٧٨.

(٤) الموسوعة الفلسفية، د ت، مادة الهوية.

أو المجموعـة. وتشكل تفردهم وإحساسهم بالذات. وكون الهوية انتماء فهي قد تتعدد مثل: الهوية العرقيـة، الهوية الوطنية، الهوية القومية، الهوية الدينيـة، الهوية اللغوية. وقد يحمل الإنسان عدة هويـات، وكذلك المجموعات البشرية، إذ عناصر الهوية هـي أشياء متحركة ديناميكية، يمكن أن تبـرز أحدها أو بعضها فـي مرحلة معينة، وبعضها الآخر في مرحلة أخـرى. وتستعمل كلمة هوية، فـي الأدبيات المعاصـرة، لأداء معنى المطابقة: مطابقـة الشيء لنفسه أو مطابقتـه لمثيله. وفي المعاجـم الحديثـة فإنها لا تخـرج عن هذا المضمـون. فالهوية هـي حقيقة الشـيء أو الشخص المطلقـة، المشتملـة على صفاته الجوهريـة، والتي تميزه عن غيره، وتسمـى أيضاً: وحدة الذات. وهنـاك عوامل أساسية لبناء الهوية وهي تمثـل عناصرها الأصلية، مثل العوامل الثقافية، العوامل الدينية، العوامل القومية ... إلخ.

بـرزت الهوية كأزمة فـي التاريخ المعاصر، فظهـرت مدارس وفلسفـات، واجتهد الفلاسفة والمفكـرون للدفاع عن هوية الإنسان ووجوده وقيمته. والهوية تعزز في الفرد روح الانتماء والشعور بالانتسـاب إلى جماعة معينة، حيث تبدأ عملية الوعي في البحث عن طرائق لتكريس هذا الانتماء ضمن أطر جماعية لتمتين نواة الجماعة عبر خطاب الهوية، وفق قيم تسعى لبثها في الروح والجسد لتلـك الجماعة، وذلك باستخدام كل الوسائل والإمكانات التي تراها مناسبة لتكريسها ودعم هذه الهويـة. سواء كان بالديـن أو اللغة أو غيرها، وكل الوسائل الفاعلة في بلـوغ هدف ترسيخ الهوية، ولذلك بات خطاب الهوية مطروحاً، لما يقتضيه الحال من ظروف وثغرات تهدد هوية الفرد وكيانه واستقـراره[1]. ولقد تمسكت الأمم بهوياتها الحضارية من خـلال تكريس تبني موروثها التاريخي السياسي والاجتماعي والثقافي. ويبدو ظهور الأمم الأولى مترافقاً مع وعي الإنسان لكينونته ودوره فـي بنـاء حضارته. وأول الأمم التي نشأت على هـذه الأرض كانت بين عامي ٣٥٠ ق . م و ٥٠٠ ق . م ... وكانـت هـذه التجمعات في طور التكوين لما يشبه المجتمعـات الأولية .. وكانت فكرة حتمية التلاقـي والتجمـع بين الأفراد وأهمية ذلك في سبيل تحقيق مصالـح المجتمعات البشرية وتبادل الخدمـات والمنافع، هي النواة الأولى للاجتماع البشري والبنـاء المجتمعي الذي أدى إلى تشكيل لأول المظاهر الحضارية[2]. وعندما شكلت هذه التجمعات البشرية هويتها، اتخذت من اجتماعها إطاراً تنظيمياً تطور من ذكر وأنثى إلى أسرة ثم عشيرة ثم قبيلة إلى شعب.. فأمة. ضمت لنفسها هويـة من خبراتهـا وتجاربها وسماتهـا وتاريخها. وكان للديـن باع طويلة في تشكيـل هوية الأمة، حتـى جـاءت الديانات السماوية لتعطي بعداً آخر للهوية وللأمة على حد سواء. ولقد رافقت الهوية مسـارات الأمم عبر الزمن لتصبـح في التاريخ المعاصر نوعاً من الالتـزام الأيديولوجي الصارم ذي الأبعاد الراسخة في حياة البشرية. وتمسكت الشعوب بهويتها الأممية معتزة بها منافحة عنها.

---

(١) كويزي، صفاء، إشكالية الهوية بين الأيديولوجيا والتاريخ عند أبو القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،٢٠١٩-٢٠٢٠، ص١٤.

(٢) خالد مصطفى، مرعب، قراءة نقدية في تاريخ الحضارة الإسلامية: الأصول والمآلات، رسالة ناشرون، بيروت،٢٠٢٥، ص٧٨.

ولهـذا أطلق على أهـم هيئة عالمية اسم (الأمـم) المتحدة، للدلالة على صـورة البنى الحضارية العالمية المعاصرة.

المطلب الثاني: الاجتماع البشري والهوية

كان لابـد من أن يلتقي الإنسان (الذكر) بشريكته ويؤسس أسرته حيث الأولاد، ثم بقية أولي القربى، فكانت النواة الأولى للتشكيلة الاجتماعية، ثم مجموع الأسر فالقبيلة التي كانت أول صورة للنظـام الاجتماعي الدائم، نقصد بالقبيلة جماعة من الأسر، ترتبط بأواصر القربى وتشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوع ولها طوطم مشترك، وتحكمها حكومة يعينها وفق قوانين معينة، فإذا ما اتحدت عدة قبائل تحت رئيس واحد تكونت بذلك العشيرة[١].

ومنـذ أن أخذت فئات مـن الأقوام البشرية فـي الاستقرار والتحضر، راحـت كل فئة تتطور فـي المحيط الذي ارتضته لها مقراً وفقاً لعوامل زمنيـة ومكانية، خصصت لها، ولمؤثرات حسية وخلقيـة عرفـت بها ودرجت عليها[٢]. ومـن ثم تطورت أشكال الاجتمـاع البشري وتنوعت وظهرت تحـت صور متفاوتة. وكان الأصل في ذلك سجيـة الاجتماع واللقاء والتفاهم بين البشر، فالإنسان كائـن اجتماعي بطبعه. ولذلك ظهرت نظريات اجتماعية متعـددة من خلال تطور علم الاجتماع، حاولـت تفسيـر وتحليل آليات الاجتماع البشري أسباباً ونتائج. ومـن هذه النظريات برزت بعضها وصارت أساساً لدراسة أصول الاجتماع البشري، ومنها: النظرية البنائية الوظيفية، وهي تنطلق من تفسيـر الواقع الاجتماعي من حيث البيئة الاجتماعية وما تؤديه من وظائف. ومنها نظرية التفاعل الرمـزي، التي تنطلق من الطبيعة النشطة للإنسان فـي علاقته وتواصله مع المحيط الاجتماعي. وايضـاً هناك نظريـة الصراع التي تعني قيام علاقات تفاعلية بين عناصر المجتمع. كذلك هناك نظريـة الرصيد الفكري المعرفـي التراكمي للمجتمع ونشـأت عنها الفلسفـة الاجتماعية. وأيضاً نظريـة المجموع (الحشـد) الاجتماعي التي تحاول تفسير أثر التجمعـات المؤثرة برؤى فكرية أو اجتماعيـة. كما هناك النظرية الشمولية للمجتمع وتقوم على تفسير الوقائع والظواهر الاجتماعية بمنظور شمولي متعـدد التوجيهات والمعطيات. ثم نظرية النظام الاجتماعي، وهي مقاربة نظرية فـي علم الاجتماع لتفسير نشأة النظـم الاجتماعية ووظائفها)[٣]. وفـي المفهوم الإسلامي، فإن البشريـة مدعـوة للتعارف والتعاون والتلاقي ... إلى التوحد تحت راية التوحيـد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤] . وغاية الدعوة الإسلامية توحيد البشرية في أمة واحدة، هـي أمة الإسلام، وإن العالـم بين ملة الإيمان، وملة الكفر. والملة هـي الأمة. وعلى ذلك فإن أمة

(١) ول، ديورانت، قصة الحضارة، ٤٢ مجلد، ترجمة زكي نجيب محمود، إشراف جامعة الدول العربية،١٩٤٩، ص٤٠.

(٢) موريس، كروزيه، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت باريس،١٩٨٦، ص٢٨.

(٣) لجنة متخصصة، (٢٠٢٠)، علم الاجتماع ليبيا.

(٤) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية ١٣

الإسـلام هي صورة مثالية لنظريات الاجتمـاع البشري المؤطرة برؤى فكرية واجتماعية نابعة من وحـدة الديـن والعقيدة. وتعتبـر الأمة أعلى مستوى حضـاري للاجتماع البشـري، لما تجسده من روابـط وعلاقات ورؤية مصيريـة واحدة موحدة للحياة. وهكذا عندما ارتقـى الإنسان في أطواره الاجتماعية من الأسرة المصغرة (الزوج والزوجة) إلى الأسرة الموسعة (الآباء والأبناء والأجداد والأعمـام والأخوال ... إلخ)، ثم إلى القبيلة المتجـاورة والمتكاتفة، حتى العشيرة المتماسكة، ثم إلـى حالـة الشعب والجمهور المتعاون ... إلـى أن وصل إلى تحالف الشعـوب والأعراق في أمه لها طابعهـا الخاص المرتكز على موروث حضاري مميز وتراث معرفي ممتـد ومستمر، يشكل الوعاء النهائـي للنظام الاجتماعي. ومن هـذا المنطلق خاطب القرآن الشعوب المتعددة والمتنوعة ليعلن بوضـوح ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُـمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُـونِ﴾[1]. وتتوافق مع هذا المفهوم نظريـة الحشد في علم الاجتماع التـي تؤكد على بروز العقل الجمعي علـى العقل الفردي ويفرض علـى الجميع نوعاً مـن التوافق المعرفي والمرجعية العقلية ويكـون اللاشعور في الجموع والحشود مؤطـراً بعواطف جياشـة واستعداد للعمل وحتـى التضحية، من خلال الانتمـاء للحشد أو الجمع، والمشاركـة فـي فعالياته ومن خلال أيضاً عوامـل اجتماعية ونفسية واقتصاديـة أخرى يشعر بها الفـرد المنتمي للحشد (الأمـة) بحصوله على مقدرة على الأداء والفعـل لا تتاح له في حالة عدم انتمائه. وبذلك تختفي الشخصيـة الشعورية لتحل محلها الشخصية الجمعية اللاشعورية، وتتجه أحاسيس الفـرد وأفكاره في اتجاه واحد هـو اتجاه الحشد وتظهر النزعة إلـى تحويل المعتقدات والأفـكار المرتبطـة بالحشد إلى أفعال[2]. وبهذه الطرق الأبستمولوجيـة تتكرس الهوية الجماعية للشعـوب وتنصهر في بوتقة واحدة لتشكل أمة ذات مقومـات حضارية محددة ومعالم أيديولوجية متناسبـة تعرف بهـا، وهكذا نرى أن الأمم في العالم أقامت صروحهـا وبنت أمجادها على قواعد مـن روابط العقل الجمعي، والمصالح المشتركة، والمصيـر الواحد. وتعتبر الأمة الإسلامية خير مثـال على ذلـك، إذ أنها كانت معبرة عـن روح الأخوة والاتحاد حتى الانصهـار بين مكوناتها من شعـوب الأرض، إذ تمكنت هـذه الشعوب من تجـاوز انتماءاتها الإقليمية المحـدودة، وتماهت مع الهويـة الإسلامية المعبرة عن شخصية «الأمة»، وظهر العالم الإسلامي الذي اتسع على مساحات شاسعـة من العالم القديم، في القـارات الثلاث وشكل حاضنة شعوب الأمـة الإسلامية، الغزيرة التنـوع، العديـدة الانتماءات الأتنيـة، المختلفة بيئياً. وبات ممكناً الحديث عـن «مجتمع إسلامي» واسـع وضخم يتضمن فسيفساء من المجتمعات البشريـة المتفاعلة والمتعاونة والمتكافلة في ظل عقيدة جامعة ودستور واحد وشريعة موحدة.

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

(٢) لجنة متخصصة، المرجع السابق، ص٨٠.

المطلب الثالث: الأمة والدين

وتعتبر العلاقة بين الأمة والدين علاقة معقدة تاريخياً وفكرياً، وقد أدى الدين دوراً بارزاً في عملية تشكيل الأمم واستمرارها، كما كان في نزاع مع هذه العملية. ويتطلب فهم هذه العلاقة تقرير كيفية اختلاف هذا الأمر من دين إلى آخر، مما يستتبع تحليلاً مقارناً. لكن الثابت في الدين هو الذي يصنع الأمة. ومنذ فجر التاريخ أقام الإنسان هياكله الدينية التي ساهمت في تأطير نظمه الاجتماعية وأثرت في بناء تطوراته الحضارية المختلفة. وبذلك يكون الدين أسبق ظهوراً عن الأمة التي تشكلت خلال حقبات زمنية طويلة وساهم الدين في بنائها وصياغة منظوماتها الفكرية وتصوراتها العقائدية. وتمثل عبادة إله واحد بشكل أساسي من قبل مجتمع واحد ... تطوراً مهماً في وجود أمة من الأمم.. ويكون هناك ثمة توافق أو اتحاد بين الدين والأمة، إذ يدعم هذا الدين الأمة ... ولذلك نجد أن دور الدين كعامل في نشوء الالتحام الإقليمي النسبي لهذه المجتمعات التي كانت في السابق مجزأة ثقافياً لتتحول إلى أمم، وفي استمرار ذاك الالتحام[1]. لكن مفهوم الأمة باعتباره عقدًا اجتماعيًا ومنظومة أيديولوجية قد تقوم على أسس مختلفة بل وجدانية أحياناً، كما الاختلاف بين الأمة الدينية، والأمة القومية مثلاً، إذ قد تضم الأمة الدينية عدة قوميات، بينما الأمة القومية قد تضم عدة أديان، ويبدو التناقض جذرياً بينهما. لذلك برز الصراع الحاد بين القومية والدين في التاريخ الحديث، وظهرت الأمم القومية كنتاج لذلك، ثم ظهرت الكيانات الوطنية كأمم مصغرة محدودة الحدود والإمكانات. وتفتت الأمم المدينية وخفت وهجها نظراً لاستبعاد الدين عن التأثير في الحياة البشرية، لكن تراث الأمة الدينية بقي عالقاً في رؤى الشعوب وتراثها وتاريخها، وتمظهرت مقومات الأمة الدينية بأشكال متنوعة في شعوب العالم، تبعاً لقوة تأثير الدين في الحياة، وما زالت تتردد أصداء الأمم الدينية بتمييزاتها المتنوعة، فالأمة المسيحية ترعاها المراكز البابوية الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتاستانية، والأمة البوذية تتفاعل في المحيط الحيوي للشرق الأقصى. وكذلك الأمة الهندوسية، والأمة اليهودية وجدت لها مآلاً في الأرض الفلسطينية. أما الأمة الإسلامية فما زالت في صراع مع هويتها الحضارية محاولة الحفاظ على وجودها متشبثة بأصولها العقيدية تجتر آلامها وآمالها في معركة مصيرية تتعلق بوجودها ومستقبلها. ويشهد التاريخ المعاصر إرهاصات عودة متنامية للهوية الدينية مع نشوء الأحزاب العقائدية لمختلف الأديان. الأحزاب اليمينية المتطرفة بشعاراتها المسيحية في أوروبا وأميركا الجنوبية، كذلك الأحزاب الدينية البوذية والهندوسية. وأيضاً الأحزاب الإسلامية في العالم الإسلامي. وقد لجأت بعض القوى والشعوب إلى محاولة دمج الولاء الديني بالانتماء القومي، لإنتاج هوية حضارية لأمة متماسكة كما جرى بين القومية العربية والإسلام، والقومية الهندية والهندوسية أو البوذية، والقومية اليهودية بالدين اليهودي،

(١) هنداوي - موقع

ممـا عرف بالصهيونية. والقومية الإنجلو سكسونيـة والبروتستانتية المسيحية، والقومية الروسية والأرثوذكسيـة المسيحية، والقوميـات الأورو - أميركية مع الكاثوليكية المسيحية ... إلخ لكن هذه المشاريـع الأيديولوجية ما زالت تعاني من اضطرابات وتنـازع شكلت ثغرات وتناقضات في الولاء والانتمـاء، وتحديد الهوية الحقيقية الصحيحة التـي تعبر عن وجدان الشعوب وتطلعاتها ونظرتها للحياة. على أن فورة القومية وهيمنتها على النظم الحاكمة بعيد الحرب العالمية الأولى لم تتمكن مـن إخماد الهوية الدينية للشعوب بالرغم من العمـل الدؤوب على التقريب بين التوجهين القومي والدينـي، وهـذا ما أدى إلى ظهور صراع الهوية والانتماء. ذلـك أن التناقض بين الفكرين القومي والدينـي والاختلاف الجوهري في أصولهما جعلا مهمة التوفيق بينهما مهمة شبه مستحيلة. ذلك لأن الانتمـاء الدينـي يصبـح هوية جماعيـة مستقلة عن الاعتقـاد الفردي، فيهـا يتطابق الثقافي والدينـي، حينهـا يمثل الدين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة، ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب، بل هو كيان مجسد اجتماعياً، ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال، أي مـن حيث صيرورته نظاماً من الممارسات والمؤسسات فضـلاً عن كونه نظاماً من التصورات ... والدين في هذه الحالة ثقافة كاملة، فهو يعبر عن رؤية للعالم، للطبيعة والوجود والإنسان، وهو كذلـك أيضًا، لأنه يقدم تصوراً لبناء الاجتماع الإنسانـي على نحو يعطي أحياناً أدق التفاصيل في هـذا الاجتمـاع، اقتصاداً وسياسة وأخلاقاً، وأحـوالاً شخصية[1]. فالدين بصفته اعتقاداً وممارسـة، يساعـد الأفراد علـى تطوير الشعـوب بالانتماء للجماعـة (الأمـة)، ويمدهم بالدعم المعنـوي ويزيد من التلاحـم والاستقرار الاجتماعي[2]. وبذلك تتعزز وحـدة المجتمع وعصبيته، وإعطـاء الشرعية لقيمه ومعاييره وإضفاء القداسـة عليها، وتجمع الناس معاً في هوية موحدة ... ممـا يؤدي إلى التماسك الاجتماعـي . والدين الإسلامي هو الوحيد الـذي أسس دولة، وتشريعاته تهتـم بالدنيا كمـا بالآخرة. وهذا ما أدى إلى قيام النظام السياسـي الإسلامي المعروف بهيكليته القيادية المتمثلة بالخلافة ونظام الشورى. وهذا ما أعطى هوية الأمة الإسلامية بعداً استراتيجياً رسخ مفهوم الولاء والانتماء، وبلور صلابًة وتماسكًا قوياً بين عناصر الأمة وفق هويتها الدينية.

المطلب الرابع: الصراع

يمكـن تعريـف الصراع على أنه حالة يكـون سببها التعارض الحقيقـي أو التخيلي للمصالح والقيـم والاحتياجـات، وقـد يكـون الصـراع داخليًا (في نفـس الشخصـ)، أو صراعًـا خارجيًا (بيـن شخص أو أكثـر)، ومفهوم الصراع يفسر العديـد من الجوانب الاجتماعيـة مثل التعارض بالمصالـح، أو الاختلاف الاجتماعـي والحروب بين الأشخاص أو المنظمـات أو الجماعات، ومن الناحية السياسية يشير إلى الثورات أو الحروب أو النضالات التي يستخدم بها القوة مثل الصراع

(١) عبد الغني، عماد، الهوية والمعرفة المجتمع والدين: علم اجتماع المعرفة: الاتجاهات الجديدة والمقاربات العربية، دار الطليعة - بيروت، ٢٠١٧ ص١٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

المسلـح[1]. والتحديـد الاشتقاقـي لكلمة (الصراع) في اللغـة العربية، هو النـزاع أو الخصام أو الخـلاف والشقاق، أما كلمـة conflict فتعني العراك او الخصـام والصدمة، إذن يعني الصراع اشتقـاق التعارض بين مصالح وآراء، أو الخـلاف[2]. إلى ذلك لم يتفق العلماء على تعريف موحد للصـراع لتباين مدارسهم واختصاصاتهم. ولفظة صـراع من الجذر صرع، والصريع الطريح في الأرض، وخصمه في التهذيب بالإنسان، فصارعه ويصارعـه صريعا[3]. والقرآن الكريم تضمن كثيرًا من الشواهد التي تصور لنا الصراع، كقوله تعالى: ﴿سَـخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَـبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[4]. أما اصطلاحًا، فتعني حالـة نزاع وتعارض متطرفة، والتحديـد الاشتقاقي لكلمة الصـراع في اللغة العربيـة هو النزاع والخصـام والخلاف والشقاق، وبهذا المعنى يشير الصـراع إلى التفاعل الذي تتعارض وتتناقض فيه الكلمـات والعواطف والتطورات مع بعضها مما يؤدي الى الصراع ويتداخل مفهوم الصراع مع مصطلحات أخرى: كالتنافس، والاختلاف، والنزاع...إلخ.

وفـي المفهـوم الإسلامي يدخل معنـى الصراع في التدافـع الذي يعني كونـه من سنن الله تعالى في خلقه يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَـدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْـلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[5]. والصـراع رافق الإنسان منذ نشأته، ومـن أهم أسباب هذا الصـراع الحفاظ علـى ديمومة الحياة والسيادة فـي الدنيا، ومن ثم حرص الإنسان على تحقيق مصالحه وتكريس هويته، ودافع عن كينونته وشخصيته الثقافية عندما تداخلت الهويات وتنازعت الانتمـاءات. فبـرز صـراع الهوية كصورة من صـور البناء الحضـاري للإنسـان. لأن الإنسان في أساسـه جزء من كل، حرص علـى انتمائه وعمل على بناء خصوصياتـه ومميزاته واكتسب الكثير من سماته، حتى تمكن من تشكيل هويته الحضارية الخاصة. لذلك تشبث الإنسان بتراثه وموروثه التاريخـي الذي يعطيه ملامح كيانـه واستمرارية حضوره في العالم. وحفـل التاريخ بالصراعات والنزاعـات والاختلافات، ونشبت حروب وسادت حضـارات وبادت الأخرى في سبيل إثبات عظمة هوية حضارية معينة وتفوقها على غيرها. كما أن صراع الهوية رافق حياة البشرية منذ نشأتها وقد حفـظ لنا التاريـخ سير هذه الحضارات وهي تعتز بهويتها، وتفرضها على غيرها من هويات الأمم الأخـرى. لذلك تمسـك الانسان بهويته وعمل علـى الدفاع عنها وبذل الغالـي والنفيس لحمايتها، وعندمـا تداخلت الهويـات، كرست الأمم هيمنة الهويـة الأكثر تأثيرًا وعمقًا فـي وجدان شعوبها. والأمـة الإسلاميـة شكلت هويتها الحضاريـة انطلاقًا من التزامها بالإسلام دينًـا مهيمنًا ومنقذًا

(١) – صالح، عبد القادر، الدين والأعناف، pressJo Giakalia prismasophie,press agama kekerasan,2002,p 75

(٢) محمود سليمان الحمدان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان،٢٠٠٢ ص ٣٦٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ماده(ص) ج١، ص٣٠٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية ٧.

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٥١.

للبشريــة من الضلال. فباتت الهوية الإسلامية هــي المعبرة عن الأمة الإسلامية بمختلف شعوبها وقومياتها ومناطقها. لكن أسبابًا عديدة دفعت لبروز صراع وتنافر بين الهوية الإسلامية الجامعة وبيــن هويــات متنافرة تطور مــع الزمن وخلَّف تداعيات كثيــرة، أخطرها تخلــف الأمة الإسلامية وتمزقها وتراجعها عن دورها الريادي في قيادة البشرية نحو الخلاص.

المبحث الثاني: أصول الأمم

المطلب الأول: الأمة الأولى

منــذ فجر المدنيــة، قبل خمسة آلاف سنة، وعــى الإنسان القدرة الفائقة التــي آلت إليه في المحيــط الحيــوي[١]. وفقد تخمن أنهم في ذلــك الوقت كانوا قد أصبحوا حيوانات اجتماعية. وهكذا فإن المرحلة الانتقالية من نهاية مرحلة جمع الغذاء والسكن في الكهوف والمآوي الصخرية، إلى مرحلة إنتاج الغذاء، إلى المستوطنات المكشوفة تعتبر فترة انتقالية مهمة وبداية لأعظم تغيير اجتماعــي فــي تاريخ البشرية، وهي قفزة تطوريــة نوعية[٢]. ويبــدو أن أول الحضارات بزغت بين عامــي ٣٥٠٠ م و ٥٠٠ ق. م. وكانــت التجمعــات البشريــة في طور التكوين لمــا يشبه المجتمعات الأوليــة التي التقت حــول تأمين ضروراتها الحياتيــة الأساسية، واختبرت أهميــة التعاون والتكتل والتجمــع في مواجهة متطلبات الحياة اليومية، وبذلــك زادت إمكانيات تطور هذه المجتمعات في مختلــف ميادين حياتها[٣]. وهكــذا ازدهرت في فجــر التاريخ الحضارات المائيــة للعالم القديم (الأمم الأولى) على النهر الأصفر (الحضارة الصينية)، والأندوس (الحضارة ما قبل الهندية)، والفرات ودجلة (سومر وبابل وآشور)، والنيل (الحضارة المصرية) وكذلك ازدهرت الحضارات البحريــة لحضارات بنات البحــر (فينييقيا، اليونان) ... وكذلك التجمــع من الحضارات القوية البنيــة لأوروبا الشمالية والمتمحــور حول بحر البلطيق وبحر الشمال[٤]. وفــي بقاع الشرق الأدنى القديــم كان التحضيــر لإطلاق أولى الحضــارات البشرية بالعديد من العناصــر المدنية، وهناك ثلاثــة عوامــل تضافرت وتفاعلــت معاً فأدت إلــى هذا النجاح هــي: الظروف الطبيعيــة المؤاتية، فــي خدمــة إدارة جماعية، يشدها إلــى الدين روابط وثيــق متينة[٥]. وكان اتحــاد شعوب بلاد ما بيــن النهريــن نواتاً لأولى الأمــم الحضارية، كما اتحاد وادي النيل كان نواتــاً لظهور أمة الفراعنة المصريين، ومن ثم تتالى ظهور الأمم الأخرى: الصينية والهلينية والكنعانية والفارسية والهندية والميزو – أميركية والرومانية ... إلخ. ويقر الفيلسوف الإيطالي (فيكو) وجوب وجود قوانين معينة

(١) أرنولد، توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة قؤاد محمد بل، لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٠.

(٢) نخبة من الباحثين العراقيين،حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ص٧٩.

(٣) خالد، مرعب، قراءة نقدية، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٤) فرناند، بروديل، قواعد لغة الحضارات، ترجمة الهادي التيمومي، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٤.

(٥) ديورانت، قصة الحضارات، المرجع السابق، ص ٩.

وموحـدة تساهـم في تشكيل الأمم والشعوب، ويشعر بهـذه القوانين طبقة من النـاس، أو طبقة من أمـة أو شعـب. ولكل حضارة وثقافة ما يميزهـا وما يمنحها طابعها الخاص الـذي لا ينـافسها فيه أحـد، ويعبر عـن خصوصيتها وإن تشابهت جميـع الحضارات والأمم في العالـم في دورة حياتها البربريـة، ثم البدائية، ومـن ثم المدينة[١]. وهكذا فـإن المدنية السومرية، هـي أقدم المدنيات الإقليميـة، والتـي شكلت أمة قائمة بذاتها، والتي تمتلك القدرة علـى التطور عن مجتمعات ما قبل المدينة، وتميزت المدنية السومرية بناحيتين، الكتابة والمعمار الديني[٢]. أما في التفسير الديني لتكويـن الأمـة، فقد توافقت الديانـات السماوية على أن آدم عليه السـلام وزوجه حواء شكلا نواة الأمـة الأولى على الأرض بعد خروجهما من الجنة: ﴿قُلْنَـا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّـي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]. ومن ذريتهما كانت الأمة الأولـى فـي الأرض، ثم توالت الأمـم من هذه الذرية ... عاد وثمود وقوم لـوط وقوم إبراهيم وقوم نوح وأصحاب الأيكة وقوم تبع وطسم وجديث وإرم .... إلخ. وكان لهذه الأمم تاريخ عظيم، وشكلوا حضـارات مزدهـرة منها من سادت ثـم بادت. وشكلت الديانـة اليهودية أمـة وأقامت دولة بادت بعـد إن سادت فـي عهد الأنبياء داوود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَوَرِثَ سُـلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَـا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَـيْءٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[٤]. وبالرغـم من تشتتهم فـي بقاع الأرض ظلوا يعتبـرون أنفسهم أمة واحدة. ولمـا جاءت المسيحية اتخذها الرومان ديانة لهم وشكلوا الأمة الرومانية المقدسة. والفرس أيضاً كانوا يعتبرون أنفسهم أمـة واحـدة. إلى أن جاء الإسلام ليشـكل أمة واحدة تضم في ثناياها أمـم عديدة سابقة رضيت بالاندمـاج في هذا الإطار الحضـاري الجديد الذي كان يشترط أن يتخلـى الإنسان عن أي انتماء سـوى الإسلام ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَـقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْـلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَـهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُـهَدَاءَ عَلَى النَّـاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الـزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٥]. وكانت الانطلاقة حينما جمعت فكرة الدين المشتـرك تحـت زعامة واحـدة شتى القبائل في نظـام سياسي واحد[٦]. ومـن بعد ذلك حافظت جميـع الـدول الإسلامية المتوارثة على مبدأ الأمـة الإسلامية على أسـاس أن تمثلها دولة موحدة

(١) خالد، مرعب، قراءة نقدية، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٢) أرنولد، توينبي، المرجع السابق، ٢٠٠٦، ص ٧٧.

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٤) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ١٦.

(٥) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية ٧٨.

(٦) توماس، أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة منى إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدي وإسماعيل النمراوي، ١٩٧٥، ط٦، القاهرة، ص٥٣.

عظمــى تميزت باتساع رقعتها وعلا شأنها في ميدان الحضــارة[1]. وما زالت الأمم تظهر وتختفي حتــى ظهرت الأمم القومية في التاريخ الحديث كنتيجة للحرب العالمية الأولى، ثم الثانية، واليوم هنــاك: الأمة الأوروبية، الأمة الأميركية، والأمة الروسية، والأمة الصينية، والأمة الهندية ... إلخ. فيمــا الأمة اليهودية تحاول إقامة دولة في أرض فلسطين، والعرب بالكاد يشكلون أمة بهوية قومية مستعارة ومستوردة تناقض علة وجودها في إطار الإسلام والأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: أمم العالم

مــع ظهــور المدن الأولى في التاريــخ التي عرفت (بدول المدن)، ظهــرت أيضاً معالم الأمم الأولــى على أسســ متنوعة عرقية أو مكانية أو دينيــة ... إلخ. ويعتبر السومريــون من أوائل الأمم الحضريــة في العالم، وكذلك المصريون سكان وادي النيل، ثم تتالى ظهور الأمم في بقاع الأرض المتفرقة. وكانت مقومات هذه الأمم تقوم على بنى حضارية متطورة شهدت العديد من الإنجازات الاقتصاديــة والاجتماعية والسياسية والفكرية. وقد فسر ابن خلدون تشكل الأمم بقيام الدول وإن كانــت العصبية هي الأساس الــذي يعتمده في تفسيره لقيام الدول وسقوطهــا، أو بتعبير آخر، في تفسيــره لحركة التاريخ. ذلــك أن للعصبية والدولة كانتا تمثلان قطبــي الحركة الدورية التي كان يــرى أن التاريــخ يسير على إيقاعها ، والعصبية عند ابن خلدون هي: مفهوم اجتماعي يشد أواصر جماعة معينة على أساس انتماء افتراضي واحد في النسب، وله أبعاد سياسية واقتصادية ونفسية متعــددة، وغايات تتمثل في دفع الضرر وجلب المنفعة، تسعى الجماعة (الأمة) بدأب لتحقيقها لا سيمــا في مراحل زمنية معينة من حياتها[2]. وتسعى العصبية لدفع الضرر والدفاع عن الجماعة، ولا سيمــا حينمــا يحدق بها خطر خارجي، إلا أنها في الوقت نفسه لها نشاط آخر يتمثل بالمطالبة لتحقيــق الملــك الذي هو غاية العصبية، ويكون ذلك بالاجتماع وبفــوز العصبية الأقوى التي توحد العصبيــات وتتزعمها وتصل إلــى مرحلة قيام الدولة[3]. وهكذا فإن العصبية الكبرى المتغلبة هي الأمــة التــي تجمع البشر في إطــار حضاري محدد. وعليــه كانت الأمم تتشكل فــي المدى الحيوي الأرضــي، وتصنــع هويتهــا المميزة وتقيم صــرح مجدها وسؤددهــا. وبذلك أقامــت أمم صغيرة دولاً، ومــن ثم أقامت أمم كبيرة إمبراطوريات عظيمة. ولعــب الدين والنسب والتجاور والمصالح المشتركــة، دوراً فــي قيــام الأمم على اخ ـلاف مشاربها وأحجامهــا. وتتالت الأمــم في ظهورها واندثارهــا. وشهــدت بــلاد ما بين النهرين ظهــور أمم متعددة بعــد السومريين، كمــا شهد وادي النيــل ظهور الفراعنة وحكم أسرهم المختلفة. وفيما بعد ظهر الفرس كأمة عظيمة ثم اليونانيون الإغريــق أيضاً. وغيرهم في الشرق الأقصى كالصينيين والهنــود والغرب الأوروربي ... إلخ. ومع

(١) خالد مصطفى، مرعب، الوحدة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، مجلة البحث العلمي الإسلامي، السنة العشرون، العدد ٦٢، ٢٠٢٤ ص٢٥٥.

(٢) محمد عابد، الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢، ص١٦٨.

(٣) جميل موسى، النجار، فلسفة التاريخ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢١٧.

ظهـور المسيحية هيمنـت القوة الرومانية على العالم القديم كأمـة عظيمة اتخذت من المسيحية دينًـا لهـا. أما العرب فلم يتوحـدوا كقومية في أمة واحـدة في دول معينة، بل كانـوا متفرقين في دويـلات متعـددة. وفي منقلب القرن السادس الميلادي، كان العالـم موزعاً بين عدة أمم مهيمنة تتقدمهـا الأمة الرومانيـة الإمبراطورية العظيمة، ثم الأمة الفارسيـة الإيرانية العريقة، إلى الأمة الصينيـة الإمبراطوريـة، والأمة الهنديـة في أقصى الشـرق. وكانت هناك أمـم متنوعة متفاوتة القـوة على امتـداد المدى الحيوي للأرض. وكان الصراع الفارسي الرومانـي يهيمن على العالم القديـم، ويبرز عظمة أمتين عريقتين شكلتا حضارتان مبدعتان كانتا على قمة العالم في مختلف مجـالات الحيـاة. والأمة الرومانية كانت تعتنـق المسيحية وتتخذها عقيدة. فيمـا الأمة الفارسية وثنيـة زرادشتية مجوسيـة. وعندما ظهرت الرسالة الإسلامية في عمـق الجزيرة العربية اتخذت من العرب أساساً لقيام دولتها الأولى، ومن ثم توالى دخول الأعراق الأخرى في أمة الإسلام، حتى تشكلت مقومات البنية الحضاريـة للأمة الإسلامية الموحدة. فظهرت أمة جديدة منافسة للأمم القائمة عرفت (بأمة الإسلام). وهكذا فعلى الصعيد الديني بات هناك ثلاث أمم: الأمة الرومانية المسيحيـة، والأمة الإسلامية، والأمم الوثنية: الفارسية والصينيـة والهندية ... إلخ. ومع اشتعال التنافـس الحضـاري، أصبح الدين هو الهويـة الأساسية المكونة للأمـم، خصوصاً حينما حققت الأمـة الإسلاميـة انتصارات مذهلة في زمن قياسـي جعلها تتصدر أمم العالـم العريقة، وشملت الحضارة الإسلامية في مفهومها على نوعين: أولهما الحضارة الإسلامية الأصلية (العربية) وهي حضـارة الإبداع التي يعـد الدين الإسلامي المصدر والمنبع الوحيد لهـا. وثانيهما حضارة البعث والإحيـاء، لأنها نتجت عن تطبيق المسلمين للأمـور التجريبية المختلفة[1]. وعلى امتداد العصور الوسطـى كانـت الأمم المعروفة فـي العالم ترتكز علـى الأصول الدينية. فالأمـة المسيحية كانت تتمركـز فـي أوروبا ابتداءً. والأمة الإسلاميـة كانت تمتد من آسيا إلى إفريقيـا، وهما المهيمنتان علـى العالـم القديم آنذاك. فيمـا الأمم الوثنية انحصـرت في الشرق الأقصـى الصين – هندي أساسـاً. أما بقية شعوب العالم فكانت متشرذمة فـي قبائل وكيانات متفاوتة القوة والتحضر. ومع نهايـة التاريخ الحديث، ظهرت متغيرات مفصلية فـي العالم، وظهرت القومية كشعار لقيام الأمم الحديثـة، واستبعد الديـن عن التأثير في حيـاة الشعوب. وصارت الأمم تعـرف بقوميتها: كالأمة الإنجليزية، والأمة الفرنسية، والأمة الألمانية ... إلخ. أما في بلاد العرب فقد راجت فكرة القومية ردحـاً من الزمن، ثم انزاحت مفسحة المجال للفكـرة الوطنية عقب إنشاء الكيانات الإقليمية[2]. وفـي التاريخ المعاصر تحاول أمم صغيرة قومية التوحد فيمـا بينها لتشكل أمة اتحادية قوية، كما تحاول أوروبا أن تفعله، وكذلك روسيا، والولايات المتحدة الأميركية. وهذه الصين تعزز حضورها

(١) عبد العزيز، التويجري، خصائص الحضارة الإسلامية آفاق المستقبل، الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٢، ص١١-١٨.

(٢) خالد مصطفى، مرعب، العرب في التاريخ الحديث والمعاصر: أمة وشعوباً ودولاً، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٤، ص٣٨.

العالمـي كأمة عريقة. وكذلك الهند بشعوبها المختلفة ... فيمـا المسلمون غارقون في تشرذمهم ونكرانهـم لهويتهم الحقيقية، وهـم يشكلون حجر الرحى في الحضارة الإنسانية المعاصرة إذا ما فطنوا إلى مكامن قوتهم وأصول دينهم.

المطلب الثالث: الأمة والحضارة

إذا كانـت الحضارة هـي: عمران العالم وما يعرضه لطبيعة ذلـك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبـات للبشر بعضهم على بعض، ومـا ينشأ عن ذلك مـن الملـك والدول ومراتبها، ينتحلـه البشر بأعمالهـم ومساعيهم من الكسـب والمعاش والعلوم والصنائـع، وسائـر ما يحدث مـن ذلك العمـران بطبيعته من الأحـوال[١]. والحضـارة تعبر عن منظومـة العقائد والقيم والمبادئ وجماع النشاط البشري فـي شتى حقول الفكر والعلوم والآداب والفنـون جميعـاً ... وما يتولـد عن ذلك من ميول ومشـارب وأذواق تصوغ نمطـاً للسلوك وأسلوباً للحياة ومنهجاً للتفكير ومثالاً يقتدى به ويسعى إليه[٢]. والأمم تصنع حضاراتها وتحقق طموحاتها التـي تتناسب مع تطلعاتهـا وتنبع من تراثها التاريخي وموروثها الحضـاري المتراكم عبر الزمن. ففـي البدايات الأولى لظهور الأمـم شعوباً متعاونة ومتضامنة، قامت بتكويـن مجتمعاتها وتشكيل بيئتها السياسية والفكرية والاقتصادية. واستغرقت عمليات التطور والتقدم الحضاري لتلك الأمم مراحـل زمنية طويلة ومتفاوتة ومختلفة، بالنظر لسياقات متنوعة وبيئات ملائمة وعوامل مساعدة تعطـي زخماً لبعض من هذه الأمـم لتدفعها إلى تحقيق الإنجازات والطموحات من السيادة والقوة والمنعـة. لذلك تميزت ابتداءً أمم وتفوقت بقدراتها وإبداعاتهـا، فتركت آثاراً في التاريخ راسخة تعبر عن تلك العظمة والسؤود. فهذه أهرام الفراعنة ما زالت راسخة عبر الزمن، كما أطلال أثينا ومعابدهـا ومنشآت رومـا وجسورها وأيوان كسرى وقصور فارس وسـور الصين العظيم ومساجد المسلميـن وقصورهم، والقلاع والحصون والموانئ والمرافق العامة والمعابد ... هي صروح تشي بعظمـة هذه الأمم وتراثها الراسخ عبر التاريـخ[٣]، ولقد صنف العلماء الحضارات وفق إنجازاتها وإبداعاتهـا وأيضـاً رسوخها واستمراريتها. وعملـت كل أمة على تشكيل تاريخهـا وتراثها وتدوين أحداثهـا ومحطاتهـا الهامة وأخبـار آلهتها وزعمائهـا وبالتالي حروبها وتنقلاتهـا وغير ذلك من شؤونهـا. وقد حدد رالف لينتون اصطلاحي حضارة ومجتمع وأنهما يستعملان كمترادفين أحياناً ... فالمجتمـع عبارة عن مجموعة منظمة من الأفراد، والحضـارة مجموعة من الاستجابات التي تعلمهـا الأفراد وأصبحت مـن ميزات مجتمع معيـن[٤]. فالأمة مجتمع كبير يضم أفـراداً يؤمنون برؤيـة مشتركـة تجمعهم وفـق قواعد وأصـول متعارف عليها بينهـم تشدهم إليهـا وتؤطرهم في

(١) ابن خلدون أبو زيد عـ د الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي بيروت، د-ت، ص٣٨.

(٢) وفاء، الأيوبي، الحضارة والعولمة إلى أين، دراسات في الحضارة المقارنة، ٢٠١٢، ص١٢.

(٣) خالد، مرعب، قراءة نقدية، المرجع السابق، ص ١٦٢

(٤) رالف، لينتون، شجرة الحضارة، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الإنجلو المصرية، ص٦٥.

بوتقتهـا، وتوحدهـم بروابط قوية تجعلهم يدافعون عنها ويضحون فـي سبيلها. ونشأت الأمم على أصـول مختلفـة ومتنوعة، منها الأمم القوميـة التي تقوم على تمجيد الانتمـاء العرقي العنصري، ومنهـا الأمم الدينيـة التي تفتخر وتعتـز بانتمائها الدينـي، والأمة الوطنية التـي تؤمن بمحيطها الجيوسياسي الحدودي. ويكون هذا الولاء ضمن الهوية المقترحة والمعتمدة. وقد تتداخل الهويات الدينية والقومية والوطنية ... حتى تغلب أحداها على ما عداها فتكون في موقعها المتقدم الظاهر والمهيمـن. وقـد تجتمع الولاءات الثلاثة في أمـة معينة تتقاسم النفوذ فيها علـى الناس الذي قد يفضلـون بعضهـا على بعض. إذ قد تتشكل أمة في قومية واحـدة محددة ودين غالب ووطن معين. ثـم يأتي النتـاج الحضاري ليرفد الأمة بزخمها التاريخي وحضورهـا في النطاق العالمي. على أن بعضـ الأمـم لم تقـدم نتاجاً حضارياً يعتـد به، بل ومنها مـن بقي على همجيتـه وبربريته، كتلك الشعـوب المتخلفة المحاربة ذوات النظم القبلية التقليدية. لذلك نجد كيف قضت قبائل البرابرة علـى الإمبراطورية الرومانية في أوروبا. كما فعلـت بعض قبائل الهكسوس أيضاً في الإمبراطورية الفرعونيـة المصرية. وأيضاً موجـات القبائل التتارية التي غزت الإمبراطوريـة الإسلامية. فإذا كانـت الحضـارة حسب مالك بن نبي مـن الوجهة التحليلية تقوم على عناصـر الإنسان، والتراث، والزمـن. وفـي وجود شبكة من العلاقـات الاجتماعية التـي تشكل الميلاد الحقيقـي للمجتمع في التاريخ، وبداية إنجازه التاريخي على ضوء الفكرة الدينية[1]. فإن الأمة هي الوعاء الأبستمولوجي الـذي يحتضن هذه الحضارة ويصنفها ويعطيها صفاتها المميزة والخاصة. فالإنسان، وهو مفرد الأمـة، هـو الذي ينتج البنـى الحضارية ويصنـع مخرجاتها ويحـدد معالمها المميـزة، كالثقافة والعـرق والجنس والديـن والقيم، أي أن الحضارة بمثابة الفطرة التـي إذا ما خصصنا لها مكاناً دافئـاً (الأمة) في رحـم التاريخ، أنجبـت الأيديولوجيا خميرة هذه الخصائـص[2]. وبذلك تكون الحضارة هذا الكم المتكامل للأفعـال والنشاطات العقلية والطبيعية التي تميز السلوك الجماعي والفـردي للأفراد الذي يكونون مجموعة اجتماعية بالارتباط ببيئتهم الطبيعية، وهي تحتوي أيضاً علـى منتجات هذه النشاطات ودورها في حياة المجموعة[3]. وهكذا فالأمم تصنع الحضارة، وقد لا تصنعهـا وتبقى فـي غياهب تخلفها. ومن الأمـم العظمى من شـكل إمبراطوريات قوية هيمنت علـى غيرها وبقيت آثارهـا تبني عن حضورها التاريخي في حقبات الزمن. ومن الأمم من توارثت حضارتها واستمرت في أمم أخرى، فالحضارة الإغريقية كانت في أساس بناء الحضارة الرومانية التـي شكلت أمـة عظيمة ردحاً من الزمن، لترثهـا فيما بعد الأمم الأوروبيـة المختلفة. ولا يمكننا إنكار دور الحضارة العربية الغابرة، ولو نسبياً، في بناء الحضارة الإسلامية المتفوقة التي هيمنت

(١) مالك، بن نبي، حديث في البناء الجديد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د-ت، ص١٠٠.

(٢) عبد الله عثمان، عبد الله، أيديولوجيا العولمة من عولمة السوق إلى تسويق العولمة، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٠٣.

(٣) محمد، رياض، الإنسان دراسة في النوع والحضارة، بيروت، ١٩٤٧، ص١٨٤.

على سحابة التاريخ الوسيط العالمي لتتبوأ الصدارة والمكانة الرفيعة. والتراث الحضاري العالمي تناقلتـه الأمم فيما بينها وتفاعلـت معه أخذاً وعطاءً فيما شكل تراث البشرية المتطور عبر الزمن إلـى أن بلغ قمة التفوق فـي التاريخ الحديث ثم المعاصر. وبرزت أمم على أنقاض أمم، وتمظهرت الأمـم الحديثة في أطـوار حضارية مذهلة لتتنافـس فيما بينها وتتشارك حضـارة عالمية سميت (عولمة).

المبحث الثالث: الأمة الإسلامية (المِلَّة)

المطلب الأول: أصول الأمة الإسلامية (الهوية)

إن شخصيـة كل أمة تجـيء وليدة حشد كبيـر متداخل متشعب من النشاطـات والفاعليات والمعطيـات والأفكار والممارسات ... وهي خلال مسيرتها عبر الزمـن، تحمل معها، أكثر فأكثر، كل ما يتمخض عن علائقها المستمرة بالعالم الذي تنشط فيه، ومن ثم تجيء ملامحها وسماتها وطبيعتها (النفسية) إذا صح التعبير، نتيجة ولا ريب للبصمات التي يتركها التفاعل المحتوم بين مجمـوع النـاس وبين عناصـر الزمان والمكان، وهي بصمـات عميقة موغلة فـي التكوين النفسي والأخلاقـي والفكـري والاجتماعي[1]. والأمة الإسلامية ظهرت مع الرسالـة الإسلامية التي نزلت علـى رسـول الله ﷺ. أن ﴿إقـرأ﴾[2]، ثم ﴿يَا أَيُّهَـا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْـذِرْ﴾[3]. ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[4]. . وأيضـاً ﴿وَمَا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5]، وكذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]... وهناك عشرات الآيات تعلن ظهور دعوة الإسلام وقيام الأمـة الإسلامية العالمية. وسرعان ما تشكلت ملامح الأمة الإسلامية الجديدة وأصولها العقيدية وخصائصها المميزة. التي أنتجت حضارة متفوقة سادت العالم في زمن قياسي. وأرتكزت أصول هـذه الأمة على عقيدة دينيـة راسخة قائمة على التزام برسالة السمـاء وما نتج عنها من مبادئ، لذلـك فإن منطلـق بناء الأمة الإسلامية كان مـن خلال الإيمان بوحدانية الإلـه والعمل بشريعته. وبذلـك يمكـن التأكيد على أصول هذه الأمـة من خلال أصول عقدية، وأولهـا: القرآن الكريم، ثم السنة النبوية الشريفة. (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)[7].

---

(١) عماد الدين، خليل، في التاريخ الإسلامي، فصول في المنهج والتحليل، المكتب الإسلامي دمشق، بيروت، ١٩٨١، ص٥٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة العلق، الآية ١.

(٣) القرآن الكريم، سورة المدثر، الآية ١و٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية ٤٥.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٦) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٧) الحاكم النيسابوري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، ص٩٣.

وقـد عمل صاحب الدعوة وقائد الأمة على تشكيل عناصـر نجاح التكوين الأولى للأمة الإسلامية، مـن خلال إعداد الطليعة القيادية الأولـى (الصحابة رضوان الله عليهم). فهم كانوا طليعة الأمة الإسلاميـة. وكانـت مبادئ اجتماعهـم تقوم على إقامة أمـة إسلامية واحدة موحـدة جمعت بين الجميـع وأقامت لهم مرجعية واحدة بقيادة الرسول الكريم ﷺ، وضمنت لهم الحريات والحقوق العامـة إلى جانب الأمـن والأمان والاستقرار. وقـد ضم مجتمع الأمة الإسلاميـة من كل أصناف البشـر وأعراقهم، العربي والإفريقـي والرومي والفارسي ... إلخ. وعندما توسعت الفتوحات شرقاً وغربـاً وشمالاً وجنوباً، انضمت كل أصناف الشعـوب وأعراقهم إلى الأمة الناشئة واعتنقت الدين الجديـد، وظهرت سمات الأمـة الإسلامية العالميـة القائمة على وحدة الديـن والدنيا أيضاً. من هنـا كانـت العولمـة الإسلاميـة التاريخية التي تجـاوزت الحدود والسـدود، وبلغت حـدود العالم الإسلامـي مشـارف الصين فـي الشرق الأقصى، ومشـارف أوروبا في الغرب إلـى عمق إفريقيا، وتوحـدت هـذه الجغرافيا الهائلـة المعروفة بالعالـم القديم في دولـة واحدة وأمـة واحدة خلال حكـم الخلافة الإسلامية الأموية. ولقد نجحـت الحضارة الإسلامية منذ البداية في توحيد الأمم والشعـوب وصهرهـم في بوتقة واحدة، فقضت بذلـك على حواجز الجنس واللـون واللغة، وجعلت الناس سواسيه، إنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، فالقرآن أعلن وحدة التنوع البشـري، رغم تنـوع أعراقه ومنابته ومواطنـه. وأعلن عن الوحدة الإنسانيـة العالمية على صعيد الحـق والخيـر والكرامة. وجعل حضارته عقـداً تنتظم فيه جميع العبقريـات والأمم التي انضمت إليـه[1]. وتكون عالمية الإسلام بذلك إحدى سمات الأمة الإسلامية، لا بل من أصولها. أما العرب كقوميـة فهم أساس الإسلام وحملـة الشريعة وروادها وروحها ووقودها. فقـد اختارهم الله لهذه الأمانة لأنهم الأقدر على حمل رسالة الإسلام ونشره والجهاد في سبيله. لكن هذا الانتماء العرقي لـم يكـن على حساب بنـاء الأمة العالمية التـي تقوم على العقيـدة وليس القوميـة، لذلك توحدت الشعـوب والأمم في أمة الإسلام، وانضمـت العوالم المتعددة إلى عالم الإسلام. ولطالما تمسكت الأمة الإسلامية بعقيدتها القائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فإن هويتها الأممية رسخـت شخصيتها المميزة والمتعـارف عليها عبر التاريخ والتي قررهـا الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُـمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُـمْ فَاتَّقُونِ﴾[2]. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْـرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِـاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَـكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُـمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِـقُونَ﴾[3]. ولقد تبلورت أمة الإسـلام سياسياً في قيام دولة المدينة المنورة في العهد النبوي، ثم في العهد الراشدي، وسمي النظام الحاكم لهذه الأمة باسم: (الخلافة الإسلامية). متفـردة عن غيرها من الأمم والدول. فكانت الخلافة الإسلامية الأموية،

(١) خالد، مرعب، قراءة نقدية، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، ص٥٢.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، ص١١٠.

ثـم الخلافـة الإسلامية العباسية[١]. ورغم قيـام الدول الإسلامية المستقلـة سياسياً، فإن وحدة الأمـة لم تكن محـل نقاش، إلى أن ورث الأتـراك العثمانيون التراث الإسلامـي، فأعادوا الاعتبار للوحدة الإسلامية ولو نسبياً، وأيضاً كرسوا مصطلح (الملة) كوحدة تعبيرية عن أمة الإسلام.

المطلب الثاني: حضارة الأمة الإسلامية.

أسـس نجاح الدعوة الإسلاميـة وانتشارها في الجزيرة العربية وإقامتهـا للدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، لظهور نواة الأمة الإسلامية الجديدة التي قدمت نموذجاً عملياً لعملية صهـر مكونـات المجتمـع الإسلامي في إطـار سياسي موحد تمهيـداً لانطلاق الرؤيـة الحضارية الإسلاميـة المبدعـة والمتفوقـة. وكانـت وثيقة المدينـة المنورة، أو مـا عرف «بميثـاق المدينة» المثـال العملي للبنيـة الحضارية للأمة الإسلامية بمـا تضمنته من أصول وقواعـد أساسية لبناء المجتمـع الإنسانـي المتحضر والمتنور. وهي تعبر عن روح الأمـة الإسلامية الوليدة وخصائصها ومميزاتهـا[٢]. وهكذا كان ظهور الكيان الإسلامـي السياسي والاجتماعي، فكانت الأمة الإسلامية الربانيـة العالمية معبرة عن نفسها في (الدولـة الإسلامية) ذات الحضارة الإنسانية العالمية[٣]. ولمـا كان لكل حضارة جسـم وروح، كالإنسان تماماً، فجسم الحضارة يتمثل في منجزاتها المادية مـن العمارات والمصانـع والآلات، وكل ما ينبئ على رفاهية العيش ووقائـع الحياة الدنيا وزينتها، وروح الحضارة، هي مجموعة العقائد والمفاهيم والآداب والتقاليد التي تتجسد في سلوك الأفراد والجماعـات، وعلاقاتهم مع بعضهم ببعض، ونظرتهم إلى الدين والحياة والكون والإنسان والفرد والمجتمع[٤]. وهذا ما تمكن الإسلام من تحقيقه عندما أطلق كوامن الإبداع والتفوق في جسد الأمة الإسلامية التي تشكلت من عدد كبير من الشعوب والأعراق والقوميات على امتداد جغرافيا العالم القديم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب. لذلك إذا أمعنا النظر في أعلام الحضارة الإسلامية لوجدنـا أن غالبيتهم الساحقة من المسلمين غير العرب، مثل مشاهير المفسرين ورجال الحديث وعلمـاء اللغة، ومؤرخين وجغرافيين وفلكيين ورياضيين وأطبـاء وصيادلة[٥]. لذلك توهم البعض أن أئمـة المسلمين اقتبسوا حضارتهم، وكثيراً من أصولها، من الفلسفة والمعارف اليونانية، ومن أصـول حضـارات كانت سائـدة من حولهم وهذا خطـأ[٦]. فالأمم تقاس بحضارتهـا، وبما قدمته للبشرية من خير وسعادة ورفاه، وبمقدار ما يكون للأمة من يد على الحضارة، بمقدار ما يكون لها

(١) راجع: حسن ابراهيم، حسن، تاريخ الإسلام السياسي والإداري والديني والثقافي، مكتبة النهضة المصرية،١٩٣٥.

(٢) كوموس، موقع.

(٣) خالد، مرعب، قراءة نقدية، المرجع السابق، ص٢٨٤.

(٤) يوسف، القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٥.

(٥) محمد، درنيقة، الموجز في الحضارة الإسلامية، المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٩، ص١٩.

(٦) محمد سعيد رمضان، البوطي، فقه السيرة النبوية الشريفة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠، ص١٥.

من عظمة التاريخ، وكل أمة لا حضارة لها، لا حضور لها ولا تاريخ، والفارق الجوهري بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات، هو أنه مع الرقي المادي الذي بلغته، كان هناك سمو روحي، وقيم إنسانية عالمية، وأخلاق نبيلة سامية[١]. وكان نواة هذه الحضارة العرب، بالإضافة إلى الناطقين باللغة العربية[٢] لذلك قيل أنه من منتصف القرن الثامن الميلادي حتى أواخر القرن الحادي عشر، كانت هي التي ملكت ناصية الفكر[٣]. لقد كانت حضارة الأمة الإسلامية المطبوعة بطابع الإسلام رسالة رب العالمين إلى البشرية جمعاء، في كل زمان ومكان وإلى أن تقوم الساعة، وقد امتازت بأنها أضافت البعد الديني لفكرة التقدم، فلا يبقى التقدم لمجرد التقدم، إنما تحدد الغاية من التقدم والرقي الإنساني الذي يشبع في الإنسان، غرائزه للخير، وأشواقه للسلام والانسجام مع الكائنات والتعاون مع أخيه من أجل الخير والفضيلة والجمال[٤]. وكان من أهم سمات هذه الحضارة الإسلامية أنها نشأت عن أمة واحدة تضم مزيجاً متنوعاً من الأعراق والشعوب والقوميات. إذا تمكنت هذه الأمة من جمع البشرية بكل أطيافها في إطار جيوسياسي واحد وفق قاعدة رب واحد، وقرآن واحد ونبي واحد وقبلة واحدة. فتشكلت ولأول مرة في التاريخ أمة عالمية قوية متماسكة ومتنوعة تختزن التراث العالمي وتصهره في بوتقة الإسلام لتعطيه شخصيته وخصوصيته الإسلامية المميزة. واستوعبت هذه الحضارة العظيمة مخرجات تراث الأمم الأخرى الإيجابية والنافعة لتجعل شعوبها راغبة في حملها لهويتها الحضارية الشاملة في عالم الإسلام الزاخر. ولقرون عديدة في العصر الوسيط كانت الخلافة الإسلامية ترفع راياتها من الصين في الشرق الأقصى، إلى أوروبا في الغرب لتضم الأصفر والأسود والأبيض والأحمر من الأعراق متساوين موحدين يحملون هوية واحدة، وينتمون إلى أمة واحدة، ويعيشون حضارة واحدة. هذه الحضارة التي قال عنها المنصفون من علماء الغرب أنها كانت هي في أساس نهضة الغرب والتطور الحضاري العالمي في العصر الحديث[٥]. ذلك أن الحضارة الإسلامية مفتوحة الحدود ممتدة الأرجاء شاملة كل ما في الحياة من مجالات التقدم والارتقاء في أسسها الفكرية والمادية، فهي في ذلك صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وفي كل البيئات الإنسانية[٦]. فكان فلاح هذه الأمة الإسلامية ونجاحها هو في اتباع القرآن والسنة في كل مجالات الحياة، فالتفوق الحضاري الإسلامي لم يكن محدوداً في محراب الصلاة، أو في ساحات الجهاد، إنما كان في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان، فالدراسات العلمية الرصينة تناولت موضوع الحضارة

(١) محمد، درنيقة، الموجز في الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص١٧.

(٢) محمد شوقي، عواد، سهم في الحضارة، دار الإمام، طرابلس – لبنان، ٢٠٢٤، ص٤٤.

(٣) جورج، سارتون، تاريخ العلم والإنسية الجديدة، ترجمة إسماعيل مظهر، دار النهضة العربي، القاهرة، ١٩٦١، ص١٦٧.

(٤) عبد العزيز، التويجري، خصائص الحضارة الإسلامية: آفاق المستقبل، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط.

(٥) محمود، المنوفي، الإسلام والحضارة العالمية، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٢٣٩.

(٦) خالد، مرعب، قراءة نقدية، المرجع السابق، ص٣٣٠.

الإسلامية بموضوعية وتجرد كما أورد توينبي عند تصنيفه للحضارات[١].

وكذلك إشبنجلر الذي اعترف بأصالة الحضارة الإسلامية وصمودها[٢]. وغوستاف لوبون بمدح العرب، ويقصد الأمة الإسلامية فيقول: وأهل الحضر من العرب من أنبل شعوب الأرض وأكرمهم وهم جديرون بهذا المديح[٣]. وكثير من المؤرخين أطلقوا تسمية عرب على عامة شعوب الأمة الإسلامية، ومنهم من يسميها الأمة العربية والحضارة العربية، ويقصدون عامة المسلمين من مختلف الشعوب والأعراق والاثنينات.

المطلب الثالث: الأمة الإسلامية الوسط.

أنشأ الإسلام عصبية جديدة شكلت أساس الأمة الإسلامية وهي: «الأخوة». ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]. وطبق هذا المفهوم بشكل صارم عملياً في الجماعة الإسلامية التكوينية الأولى في مكة المكرمة، ومن ثم مجتمع المدينة المنورة ودولتها. وأزيلت كافة الفوارق والتباينات والتفاضل ليحل محلها جميعاً معيار واحد (التقوى). (لا فرق بين عربي و لا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب)[٥]. وكان نشوء الجماعة الإسلامية الأولى نموذجاً حياً وترجمة عملية لهذا المفهوم الإنساني الشمولي وذلك بانضواء أعراق متنوعة لها وانصهار الأنواع البشرية في بوتقة واحدة تمددت لتنشئ إطاراً جماعياً فريداً في مجتمع المدينة الذي بني على المؤاخاة. ومن ثم برزت معالم الأمة في إطارها التنظيمي السياسي والإداري في دولة المدينة المنورة بزعامة قائدها ونبيها ﷺ وكان الولاء لله ورسوله قاعدة بناء الأمة الإسلامية. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٦]. وهكذا وبالتزامهم بالأصول القرآنية والتوجيهات النبوية أقام المسلمون أمة متماسكة بالرغم من التنوع والاختلاف في الأصول واللغات والعادات والتقاليد ... إلخ. وكان التحدي الأكبر لصمود هذه الأمة وصلاحيتها هذا التدفق الهائل للشعوب والأمم للانضمام للأمة الإسلامية. إثر الفتوح والانتصارات التي فتحت العالم أمام الدعوة الإسلامية. وكان لسهولة اعتناق الإسلام وعدالته وقيمه الدافع الأكبر لمعظم الشعوب للانتساب إليه وللقبول بالانتماء لأمته المباركة. ففي الشرق انضوت شعوب الفرس والتركمان والأفغان والهند والصين وغيرها إلى حوزة الخلافة الإسلامية في وقت قياسي خصوصاً بعد هزيمة الإمبراطورية الفارسية الوثنية. وفي الغرب، هزم الروم وتقهقروا إلى عمق آسيا الصغرى، فتسابقت شعوب بلاد الشام للانتساب إلى الأمة الوليدة.

---

(١) توينبي، مختصر، المرجع السابق، ص١٩.

(٢) إزوالد، إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٤، ص٣٣٥.

(٣) غوستاف، لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢١ ص٧٧.

(٤) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٥) البيهقي ٥١٣٧.

(٦) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٥٥.

وعندما اجتازت الجيوش الإسلامية حوض النيل سارعت شعوب شمال إفريقيا للالتحاق بالأمة الإسلامية. وكانت الهوية الإسلامية هي العصبية التي كرستها الرسالة الإسلامية على أنقاض عصبيات عنصرية فئوية (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)[١]. فتأسست بذلك كتلة بشرية متزنة ... فيها الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الإنسانية ... وضعت مدنيتها وأسست حكومتها ... فظهرت المدنية الإسلامية[٢].

وبالرغم من التطورات السياسية التي طرأت على الأمة الإسلامية عبر تاريخها، إلا أنها بقيت متمسكة بانتمائها وهويتها الحضارية. فقد وقعت حروب ونشبت معارك في داخل الأمة وقامت ثورات وحدثت الكثير من القلاقل والنزاعات. لكن الأمة استمرت بمعالمها الحضارية المتنوعة، فبعد العهد الراشدي، تمكن الأمويون من الإمساك بزمام الأمور وحافظوا على كيان الأمة، بل وزادوا من اتساعها وترسيخ هويتها. ولما تولى العباسيون الحكم، عملوا على إعادة اللحمة للأمة واستكمال فتوحاتها وتبوأت الحضارة الإسلامية بعهدهم مركز الصدارة على حضارات العالم، وباتت الأمة الإسلامية أقوى أمم العالم: يحكمها خليفة في عاصمة كانت مركز العالم المتحضر. حتى عندما انقسمت الخلافة الإسلامية الواحدة إلى ثلاث (عباسية في بغداد، وفاطمية في القاهرة، وأموية في قرطبة). بقيت الأمة واحدة، وحافظت على وسطيتها. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]. والوسط هنا: الخيار الأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها. وكان الرسول ﷺ وسطاً في قومه أي أشرفهم نسباً[٤]. فالأمة الإسلامية هي الأمة الشاهدة بهويتها الحضارية الواحدة الموحدة. من خلال الاعتصام بالله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥]. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٦]. فكان تشكل الأمة الإسلامية بفضل الله تعالى وكرمه إذا أصبحوا إخواناً بعد ما كانوا سابقاً أعداءً. هذه الأخوة التي بنيت على الاعتصام بحبل الله. وقد تميزت

(١) رواه أبو داوود وأحمد.

(٢) أبو الحسن، النووي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤، ص١١٠.

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٤٥.

(٤) أب و الفداء إسماعيل، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، سورة البقرة، ١٩٩٨، ص١٤٣.

(٥) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٦) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

الأمة الإسلامية بإقامتها كياناً تنظيمياً حضارياً له أبعاد سياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وفكرية ... إذ كانت الشريعة الإسلامية نظام حياة يعنى بالدنيا كما يهتم بالآخرة. وكان على أعضاء هذه الأمة وعناصرها الاندماج في هويتهم الإسلامية ابتداءً للقيام بدورهم الريادي في رعاية أمم الأرض وهدايتهم. فعند فقدان هوية الأمة وضياع بوصلتها الحضارية تفقد دورها ورسالتها وتعيش في دوامة الصراع على .... الهوية.

الخاتمة

قد تكون الأمة .... رجلاً ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...﴾[1]. وقد تكون شعوباً من البشر كثيرة. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[2]. تضم مئات الملايين من مختلف القوميات والأعراق. وقد أقام الإنسان منذ وجوده صرح حضارته وبنى مجتمعاته وأسس أممه المتعددة. هذه الأمم التي اجتمعت على مصالحها وتراثها وثقافتها وتاريخها المشترك. كونت لنفسها دعائم عقيدتها ورسخت تقاليدها وعاداتها. وتميزت بذلك الأمم وتنافست. وساد بعضها وباد. حتى العصر الحديث عندما أنشأ البشر عصبة للأمم عقب حرب عالمية أولى ضروس أحرقت الأخضر واليابس، وذلك في سبيل أن تتفاهم هذه الأمم فيما بينها وتتعاون، ثم بعد حرب عالمية ثانية أنشأت هيئة للأمم متحدة لتحرص على إقامة علاقات الود والتشارك بين أمم الأرض، لكن مفهوم الأمم تأرجح وتنوع لتغلب عليه النزعة القومية بصبغته العنصرية. وصنف العالم أولاً، للأمم المتفوقة، ثم ثانياً، للأقل مرتبة، ثم ثالثاً للمتخلفين. وتربعت الأمة الأميركية على قمة الحضارة فارضة عولمة تهيمن على العالم وتفرض قيمها وشعاراتها عليه. إلى ذلك تراجعت الصبغة الدينية عن الأمم مع بداية القرن العشرين، بما فيها الأمة الإسلامية التي كانت تعاند قدرها وتقاوم عوامل انهيارها من خلال محاولات العثمانيين التمسك بنظام الخلافة، رغم تشتت الشعوب الإسلامية في كيانات مصطنعة شكلها الاستعمار في مختلف بقاع العالم الإسلامي. وعندما أعلن الأتراك إلغاء نظام الخلافة بناء على طلب القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، أدرك المسلمون أن الأمة الإسلامية في حال غيبوبة قد تؤدي لزوالها. لذلك قامت في العالم الإسلام احتجاجات وتداعيات ودعوات لإحياء رمز الأمة وشعارها ولو بشكله الصوري فحسب، وكانت الأمة الإسلامية قد تعرضت عبر تاريخها لمحن كثيرة، لكنها كانت في كل مرة تعود متجددة محافظة على مكانتها. وفي كل الأحوال كانت الأمة الإسلامية تعتز بهويتها الحضارية النابعة من دينها وعقيدتها. لكن حالة الضعف استشرت في العالم الإسلامي في العصر الحديث، والمؤامرات الاستعمارية الغربية والشرقية توجت بالغزو المباشر وتمزيق أوصال العالم الإسلامي، لتبدأ مرحلة من أعمال طمس

(١) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٢٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

للهوية الإسلامية وختراع هويات قومية ومذهبية ومناطقية ووطنية ... إلخ.

ولما حاول المسلمون النظر في محاولة التلاقي تحت شعار (الأمة الإسلامية)، شكلوا هيئة عالميــة تجمــع دولهم المستقلة وكياناتهــم الوطنية، لكنها بقيت إطاراً نظريــاً بدون فعالية مهمة. لذلــك بات الانتماء للأمة الإسلامية مجرد شعار فضفاض بــدون مضمون. في حين غابت الهوية الإسلاميــة كانتماء حضاري عن الشعوب الإسلامية، حتى تلك الدول التي تسمي نفسها إسلامية، لــم تكرس هويتها الإسلامية، ولم تعمل علــى وحدة الأمة الإسلامية. إلى درجة أن الانتماء الديني في الدول الإسلامية، قد يشكل سبباً للاعتراض والإشكاليات. لذلك ترى الدول الإسلامية الكبرى ذات الغالبيــة الإسلاميــة إنمــا تعتز بانتمائهــا الوطني أو القومــي على حساب الهويــة الإسلامية الجامعة. ونشأ لذلك صراع إيديولوجي جيوسياسي في تحديد الهوية الحضارية للمسلمين. وصارت الهويــة على درجات متفاوتة، أدناها قد يكون الانتماء الديني. فالإنسان في البلاد الإسلامية يعتز بهويتــه الجغرافية: المصري، الســوري، العراقي، التركي، الإيراني، الإندونيسي ... إلخ. وربما قد يفتخــر بهويته القومية: العربي، الفرعوني، البربري، الكردي، التركي ... إلخ. وتصارعت الهويات بالمسلميــن لتبعدهم عن هويتهم الأساسية التي ارتضاها الله لهم: (هو سماكم المسلمين) (أمة واحــدة) (إنما المؤمنون أخوة). ويشهــد التاريخ على وحدة هذه الأمة خلال قرون عديدة، تفتخر وتعتز بهويتها الحضارية ووحدتها الإنسانية. ويبدو أن هذه الأمة وشعوبها وجغرافيتها لن تقوم لها قائمة ولن تعود إلى مجدها ومكانتها بين أمم العالم، إلا إذا عادت إلى هويتها الأساسية التي كانت سبــب وجودها، والتي وحدتهــا والتي صنعت أمجادها ... وما لم يتخــل المسلمون عن عصبياتهم وانتماءاتهم الضيقة فسيظلون ... عالماً ثالثاً ودولاً متخلفة، عاجزة عن تحقيق تطلعات أبنائها في الحياة العزيزة الكريمة. سيما وأن الأمم العظمى تمتلك القدرات الهائلة وتتحكم بالعالم بواسطة العولمــة الفاسدة التي تــكاد تجهز على البشرية بشرورها وانحطاطها ومساوئها. وبذلك تتبين لنا النتائج التالية:

الأمــة كيــان اجتماع إنساني يعبر عن انتماء وولاء وهوية حضاريــة للبشر ترسخ عبر الزمن، منذ وجود الإنسان على الأرض، حيث توالت الأمم على عمارة الأرض وأقامت فيما بينها علاقات، ومنها من سادت ... ثم بادت.

شكلت الديانات السماوية أمماً، كما الديانات الأخرى. وحرصت كل الأمم على الحفاظ على بنائها الحضاري وفق رؤيتها للحياة وعمدت إلى تشكيل هويتها الخاصة لتتميز عن غيرها.

أســس الإسلام أمة عالمية ضمت كل أصنــاف البشر دون تمييز، وكان ذلك بناء على أصول دينية مرتبطة بالعقيدة والإيمان. وتمكن المسلمون من تطبيق قواعد المساواة بين البشر مما أدى إلى ترسيخ قيم العدالة والحق وإقامة الإنسانية الحقة.

تغيــر مفهــوم الانتماء الأممــي لدى البشــر وتنــوع ليشمل مختلــف المعتقــدات والنظريات

حتــى ظهرت الأمم القومية على مشــارف العصر الحديث. مما أدى إلــى انحسار الانتماء الديني والعقائدي.

تعرضــت الأمة الإسلامية لكثير مــن المخاطر عبر تاريخها، لكنها كانت في كل مرة تستعيد قوتهــا وتحافظ علــى كيانها بشكل من الأشــكال. حتى كان التاريخ الحديث حيــث فقدت مقومات وجودها تحت وقع المؤامرات الخارجية والتشتت الداخلي.

احتمــل مفهوم الأمــة تعريفات كثيــرة وتأويلات متعددة، لكــن الهوية الغالبــة كانت تفرض طابعها وسماتها على المنتمين لكل أمة وفق نظرتها لعوامل قوتها ومكامن عزتها. فمن الناس من اعتز بقوميته كهوية وصبغ أمته بها. وهذا ما غلب على معظم الأمم المعاصرة.

بقيــت الهويــة الإسلامية تفرض حضورها مــع غياب الإطار الجامع لها. وبــدا شعار الأمة الإسلاميــة» متراجعــاً أمام الـ ـولاءات المتعددة، والانتمــاءات المتفاوتة. إلى حــد شبه غياب لهذا المفهوم في الوجدان الشعبي للمسلمين نتيجة السياسات الكيانية الضيقة والنزعات المصلحية.

تعيش الشعــوب الإسلاميــة صراعاً عميقاً غير مرئــي تتجاذبه عوامل عديــدة بين الالتزام الدينــي وبين الطروحــات الانفصالية. وما تــزال روح الأخــوة الإسلامية ومفهــوم الأمة الجامعة يتــردد مداها في ضمائر المسلمين. وهذا ما شكل اضطراباً في تحديد الهوية الحضارية للشعوب الإسلامية.

وهكذا فالأمــة الإسلامية كيان قائم لا يتزعزع، فهي مستمرة باستمرار قوة حضور الإسلام فــي نفوس المؤمنين به. وهذه الأمة تحمل هوية حضارية عريقة وعميقة الجذور غير قابلة للزوال محصنــة بوعد الله بحفظ أهل الدين وكتابه المقدس (القرآن الكريم). ولا نهاية لصراع الهوية عند الأمة الإسلامية إلا باستعادة وحدة المسلمين وتكريس الهوية الإسلامية الواحدة الجامعة.

المراجع

القرآن الكريم

ابــن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمــد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي بيروت.

ابــن كثير، أبي الفــداء إسماعيــل، (١٩٩٨)، تفسير القــرآن العظيم، دار الكتــب العالمية، بيروت لبنان.

ابن منظور، لسان العرب (١٩٨٢)، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

أرنولــد، توماس (١٩٩٥)، الدعــوة إلى الإسلام، ترجمة منى إبراهيــم حسن وعبد المجيد عابدي وإسماعيل النمراوي، ط٦، القاهرة.

الأيوبي، وفاء، (٢٠١٢)، الحضارة والعولمة إلى أين، دراسات في الحضارة المقارنة.

إشبنجلـر، إزوالد، (١٩٩٤) تدهور الحضـارة الغربية، ترجمة أحمـد الشيباني، دار مكتبة الحياة.

بروديـل، فرنانـد، (٢٠٠٩) قواعـد لغـة الحضارات، ترجمـة الهادي التيمومـي، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

البيهقـي، أبو بكر بن الحسيـن، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القـادر عطا، دار الكتب العلمية.

ابن نبي، مالك، حديث في البناء الجديد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

البوطـي، محمد سعيـد رمضـان، (١٩٩٤) فقه السيـرة النبوية مع موجـز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، القاهرة، بيروت دمشق.

توماسـ، أرنولـد، (١٩٧٥)، الدعوة إلـى الإسلام، ترجمة منى ابراهيـم حسنو عبدالمجيد عابدي واسماعيل النمراوي، ط١، القاهرة.

التويجري، عبد العزيز، (٢٠٠٢)، خصائص الحضارة الإسلامية آفاق المستقبل، الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

توينبـي، أرنولد، (١٩٨٠)، مختصـر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمـد بل، لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة.

الجابري، محمد عابد، (١٩٩٢)، نحن والتراث، دار الطليعة، بيروت.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات (د. ت) دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة.

حسـن، حسـن إبراهيم، (١٩٣٥)، تاريـخ الإسلام السياسـي والإداري والدينـي والثقافي، مكتبة النهضة المصرية.

الحمـدان، محمـود سليمـان، (٢٠٠٢) السلوك التنظيمـي في منظمات الأعمـال، دار وائل للنشر، الموسوعة الفلسفية، عمان.

خليـل، عماد الدين، (١٩٨١)، في التاريخ الإسلامي، فصـول في المنهج والتحليل، المكتب الإسلامي دمشق، بيروت.

درنيقة، محمد، (٢٠٠٩)، الموجز في الحضارة الإسلامية، المؤسسة الحديثة للكتاب.

ديورانـت، ول، (١٩٤٩)، قصـة الحضـارة ٤٢ مجلـد، ترجمة زكي نجيب محمـود، إشراف جامعة الدول العربية.

رياض، محمد (١٩٧٢)، الإنسان دراسة في النوع والحضارة، بيروت.

سارتون، جورج، (١٩٦٧)، تاريخ العلم والإنسية الجديدة، دار النهضة العربي، القاهرة.

صالـح، عبـد القـادر (٢٠٠٣) الديـن والأعنـاف Jo Giakalia prismasophie,press agama kekerasan,p 75

صفاء، كويزي، (٢٠١٩-٢٠٢٠) إشكاليـة الهوية بين الأيديولوجيا والتاريخ عند أبو القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرياح - ورقلة.

عواد، محمد شوقي، (٢٠٢٤)، سهم في الحضارة، دار الإمام، طرابلس - لبنان.

عبـد الله، عبـد الله عثمان، أيديولوجيا العولمـة من عولمة السوق إلـى تسويق العولمة، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت.

عمـاد، عبد الغنـي، (٢٠١٧)، الهوية والمعرفـة - المجتمع والدين: علـم اجتماع المعرفة: الاتجاهات الجديدة والمقاربات العربية، دار الطليعة - بيروت.

كروزيه، موريس، (١٩٨٦)، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت - باريس.

كوموس، موقع.

لجنة متخصصة، (٢٠٢٠)، علم الاجتماع ليبيا.

لوبون،غوستـاف، (٢٠٢١)، حضارة العرب، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ترجمة عاجل زعيتر، القاهرة.

لينتون، رالف (د. ت)، شجرة الحضارة، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الإنجلو المصرية.

مرعـب، خالد مصطفـى، (٢٠٢٥)، قراءة نقدية فـي تاريخ الحضـارة الإسلامية: الأصول والمآلات، رسالة ناشرون، بيروت.

مرعـب، خالد مصطفى (٢٠٢٤)، الوحدة الإسلاميـة بين النظرية والتطبيق، مجلة البحث العلمي الإسلامي، السنة العشرون، العدد ٦٢.

مرعب، خالد مصطفى، (٢٠١٤)، العرب في التاريخ الحديث والمعاصر: أمة وشعوباً ودولاً، دار النهضة العربية، بيروت.

المنوفي، محمود، (١٩٤٧)، الإسلام والحضارة العالمية، القاهرة.

النجار، جميل موسى، (٢٠٠١)، فلسفة التاريخ، مكتبة مدبولي، القاهرة.

نخبة من الباحثين العراقيين، (١٩٨٥)، حضارة العراق، بغداد.

الندوي، أبو الحسن، (١٩٨٤)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكتاب العربي.

هنداوي، موقع.